الفصل

٢٣

الفهرسة والفهارس عبر التاريخ

نظـرة طائـر

* عصر قوائم الجرد.
* العصور الوسطى الباكرة.
* العصور الوسطى المتأخرة.
* عصر النهضة الأوربية والانتكاسة العربية.
* عصر قائمة الإيجاد وتحديد المكان.
* عصر الازدهار والتقدم.

obeikandl.com

obeikandl.com

ان قصة الفهرسة والفهارس ليست سوى جانب واحد من بانوراما الحركة المكتبية. فالمكتبة بمعناها التقليدى منذ قديم الزمان كرست جهودها نحو جمع وحفظ وتنظيم وتقديم أوعية المعلومات، مستخدمة فى ذلك نوعا من التنظيم الببليوجرافى. وهذا التنظيم لم يكن فى يوم من الأيام واحداً فى كل المكتبات. ويكشف التاريخ عن العلاقة الوثيقة بين نشاط بائع الكتب والببليوجرافى وأمين المكتبة. فكل منهم سعى نحو تنظيم المواد المكتبية بهدف الاسترجاع الفعال أو وضعها فى موضعها المناسب. وكانت الطرق التى يتبعونها متشابهة لأن هدفهم كان واحداً رغم أن أغراضهم لم تكن دائماً واحدة. وقد جرت محاولات عديدة لوضع بعض الأسس القياسية لأساليب الضبط الببليوجرافى سواء فى فهارس المكتبات أو فى قوائم الناشرين أو الببليوجرافيات المنشورة. وكانت هناك دائماً علاقة بين الفهرسة فى المكتبات وبين الببليوجرافيات التى لا ترتبط بمكتبات معينة. إلا أن الفهرسة فى الولايات المتحدة كانت تنزع دائماً نحو الاستقلال عن أعمال الببليوجرافيا وخاصة فيما يتعلق بتجارة الكتب، وهو الأمر الذى ظل متلازماً فى الدول الأوربية طيلة عدة قرون. وتحاول الجهود الدولية الآن الربط بين الاثنين من جديد. ويطلقون على ذلك «الوصف الببليوجرافى» والملحق الذى أوردناه بعد هذه الدراسة يرتب تقانين الفهرسة ترتيباً زمنياً.

ويعتبر فهرس المكتبة فى حقيقته شكلاً واحداً من أشكال الببليوجرافيا. وهو يعرف بأنه ثبت أو قائمة بالأوعية التى تقتنيها مكتبة من المكتبات وهو شامل وليس اختياراً. وعلى الرغم من أن الفهارس تسجل مجموعات الكتب والجانب الأكبر من المطبوعات الدورية إلا أن الممارسة الفعلية تختلف من مكتبة إلى أخرى. ويسعى أمناء

المكتبات عادة إلى إعداد الفهارس بالمطبوعات فقط رغم أن مجموعات المكتبات الآن أصبحت تضم مواد سمعية بصرية ومصغرات فيلمية وغيرها وربما كان مرد ذلك إلى سيادة الكتاب ردحاً من الزمن حيث لم تأت المنافسة من المواد الأخرى إلا مع مطلع القرن السابع عشر. ولم تأخذ الدوريات طريقها الفعلى إلى عالم المكتبات إلا فى ستينات ذلك القرن بحيث غدت فى القرن الثامن عشر الوعاء الأساسى فى حمل المعلومات وخاصة المعلومات العلمية. وبعد ذلك ظهرت أشكال أخرى من المطبوعات كالمطبوعات الحكومية ومضابط المجالس التشريعية فى القرن التاسع عشر. ولم تستجب المكتبات بعد للأوعية الجديدة كالمسجلات والمصغرات فتعد لها الفهارس اللازمة.

لقد بدأت الفهارس فى أقدم صورها على شكل قائمة جرد Inventory ثم تطورت فيما بعد فى الوقت الحاضر كأداة استرجاع للمعلومات. وسنحاول أن نتبع تطور فكرة الفهارس عبر العصور المختلفة مركزين على الدول الناطقة بالإنجليزية وخاصة انجلترا فى القرن الثامن عشر والولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر والعشرين ثم نتبعها بتاريخ تطور الفهارس العربية فى تلك العصور.

عصر قوائم الجرد

العصور القديمة :

لقد بدأت محاولات بدائية للضبط الببليوجرافى منذ فجر المكتبات، وكانت طريقة إعداد هذه الفهارس فجة رغم أن نوريس[1] تذكر «أن الفهارس التى استخدمت فى القرن السابع عشر قبل الميلاد تشبه إلى حد كبير تلك التى نستخدمها الآن فى القرن العشرين بعد الميلاد» ولقد كشفت الحفائر فى قصر أشوربانيبال

(1) Norris, D. M. : A History of cataloguing and cataloguing methods 1100-1800. London. Grafton, 1939. p.2.

(٦٦٨ ـ ٦٢٦ ق.م) عن فهارس من ألواح طينية، وتشبه هذه الفهارس أدلة أو قائمة الرفوف. وقد استخدمت هذه الألواح الفهارس لتحديد مكان وجود الكتب وذلك بتسجيل معلومات ببليوجرافية مثل عنوان العمل وعدد الألواح التى يقع فيها العمل وعدد السطور فى كل لوح وموضوعه وكذلك رمز التصنيف أو مكان الكتاب[١] وقد استخدمت طريقة مشابهة فى مدينة إدفو (٢٠٠ ـ ٣٠٠ ق.م) حيث توجد قائمة كتب محفورة على أحد الجدران.

ويقال أن مكتبة الاسكندرية كان لها فهرس مستفيض توفر على إعداده العالم كاليماخوس على ألواح خشبية Pinakes سنة ٢٥٠ ق.م. وهناك شك فيما إذا كانت تلك فهارس للمكتبة أو مجرد ببليوجرافية توفر على جمعها هذا العالم. وتعتقد نوريس أن هناك إحتمالات بأن هيرميبوس Hirmippus مساعد كاليماخوس قد توفر على إعداد الفهرس سنة ٢٢٠ ق.م[٢]. وقد وصف هذا الفهرس بأنه منطقى ويقع فى ١٢٠ مجلداً ولكن للأسف لم يصلنا منه إلا قطع صغيرة.

ولقد استطاع ويتى Witty فى الواقع تتبع خمس قطع من هذا الفهرس هى فى الواقع مجرد اقتباسات من الأصل، أما ما يقال عن بقية القطع التى عثر عليها فليست سوى إشارات ببليوجرافية إلى ذلك الفهرس وحسب قام بها مؤلفون قدماء[٣]. وفى الحقيقة أن كلمة Pinakes (مفردها ـ Panax) استخدمها الأغريق أول مرة للدلالة على اللوحة التى توضع على المكتبة للدلالة على ما بداخلها، واستخدمت الكلمة بعد ذلك للدلالة على أو لتعنى الفهرس[٤]. والعنوان الكامل

(1) Johnson, E.D. : A history of libraries in the Western World. New York, Scarecrew Press. 1965. p. 25.

وأيضاً هيسيل، الفرد : تاريخ المكتبات، ترجمة شعبان خليفة. القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٣. ص ص ٢ـ٤.

(2) Norris. D.M. : Ibid p.5.

(3) Witty, F.J. : "Pinakes of Callimachus" Library Journal. Vol 28, April 1958, p. 132.

(4) Loc cit..

لهذا الفهرس كان «قوائم المشاهير فى كل جوانب الفكر وأعمالهم الفكرية ـ فى ١٢٠ مجلدا»[١] وتكشف تلك القطع عن معلومات بيوجرافية عن المؤلفين أكثر منها ببليوجرافية عن مؤلفاتهم. إذ كانت المعلومات الببليوجرافية مختصرة جداً وتضم عدد سطور العمل والكلمات الأولى من النص. وكانت المداخل مقسمة بالمؤلفين والعصور التاريخية.

إن الفهارس التى أعدت إبان قمة الحضارة اليونانية كانت أشبه ما تكون بالفهارس المصنفة بالموضوعات العريضة ثم تقسم بعد ذلك بالشكل وكانت أقرب ماتكون إلى قوائم الرفوف الحالية. ولم تكن فكرة عنوان العمل معروفة أو مثبتة فى ذلك الوقت ولهذا كانت افتتاحية النص ذات أهمية قصوى ولذلك كانت تثبت فى الفهرس. وكان يثبت اسم المؤلف دون تحقيق كامل لأن عدد المؤلفين فى ذلك الوقت لم يجعل أسماءهم تلتبس. ولذلك فإن إحدى الإضافات الهامة فى الفهارس اليونانية القديمة كانت إبراز اسم المؤلف رغم أن المكتبات العربية والشرقية عموماً كانت تهتم بعنوان العمل أكثر من اهتمامها باسم المؤلف[٢].

وتميز العصر الرومانى بكثرة المعلومات التى وصلتنا عن فهارسه وفهرسته، فقد كانت المكتبات العامة والشخصية شائعة فى تلك الفترة، وكانت تعتمد أساساً على الأعمال اليونانية والتى تعتبر أساس الثقافة الرومانية، فقد كانت لفافات البردى (الكتب) تقسم إلى : لاتينية ويونانية وتحت كل قسم تقسم مرة أخرى طبقاً لموضوعات عريضة وكانت هناك محاولات لتجميع كتب المؤلف الواحد فى كل قسم معاً. وكان هناك نوعان من الفهارس مساندان:

الفهارس المصنفة، والقوائم الببليوجرافية، الأول يشبه قائمة الرفوف والثانى يساعد

(1) Ibid. p. 133.

(2) Strout, R. F. : "The development of the catalog and cataloging codes" Library Quarterly. Vol. 26, Oct. 1956. p. 257.

على البحث بالمؤلفين. وكلا النوعين كان يتضمن من المعلومات عنوان الكتاب أو السطور الأولى منه (الاستهلال)، عدد السطور فى العمل ثم معلومات بيوجرافية عن المؤلف. وكان من الواضح أن الرومان تأثروا إلى حد بعيد بالخط الذى اتبعه كاليماخوس ولم يضيفوا جديداً إلى الفهارس أو الفهرسة[1]، ولم يغير دخول المسيحية من نظرة الرومان إلى المكتبات فى القرون السبعة الأولى على الأقل اللهم إلا بإضافة كتب جديدة، كتب البابوات مما يكمل أو يدحض مؤلفات المؤلفين والفلاسفة اليونان والرومان. وبالتدريج بدأت المكتبات العامة أو مكتبات المعابد فى الاضمحلال وخاصة بعد القرن الثالث الميلادى عندما أصبحت المسيحية دين الدولة. وفى سنة ٣٣٦م، عندما أصبحت القسطنطينية مركزاً للامبراطورية الرومانية دخلت مكتبات روما فى منافسة خاسرة مع المكتبات التى أقامها الأباطرة المتعاقبون فى القسطنطينية لمؤازرة العلم والعلماء إلى أن أتى الغزو التركى سنة ١٤٥٣م. واندثرت المكتبات الكبرى بالتدريج وطويت تحت راية النسيان والإهمال. ولم يبق سوى نصوص قليلة تدلنا على كيفية تسجيل كتب تلك المكتبات.

العصور الوسطى الباكرة
من القرن الخامس حتى القرن الحادى عشر

لقد كان لسقوط روما فى القرن السادس الميلادى أثره العنيف فى انحلال العلم والبحث العلمى وتدمير وبعثرة المكتبات العامة أو مكتبات المعابد وكثير من المكتبات الخاصة. ولمدة عشرة قرون تالية كانت المكتبات الغربية عبارة عن مجموعات صغيرة متشابهة من الكتب فى الأديرة التى كثر انتشارها فى تلك الحقبة. ولم تكن حياة الأديرة بجديدة إذ أنها وجدت منذ الأيام الأولى للمسيحية وكانت مكانة الكتب فى الأديرة جد عظيمة وكان على الرهبان لينالوا ثواب الله فى الآخرة أن يقرءوا

(3) Johnson. E.D. : Ibid p. 77.

ويتفهموا وينسخوا الكتب، وكان من بين الرهبان الذين تدين لهم مكتبات الأديرة بالفضل كاسيودوروس..

هذه الأديرة فى الواقع كانت أداة للتعليم كما كانت وسيلة هامة لحفظ وإنتاج الكتب ومع هذا فإن الحاجة إلى الفهارس كانت محدودة للغاية فى تلك الفترة ولم تكن الجهود لتوجه إلا نحو قوائم جرد بسيطة. وكان من النماذج المبكرة على تلك الفهارس قائمة الكتب التى قدمها جريجورى إلى كنيسة سان كليمو. وكانت عبارة عن لوحة من الرخام نقشت عليها بعض الصلوات وأسماء عدة كتب تتصل بالكتاب المقدس.

ويعتبر الفهرس الذى أعده الكوين من يورك Alcuin of York فى القرن الثامن فريدا فى شكله إذ كان عبارة عن ببليوجرافية أو قائمة بأشهر المؤلفين وأعمالهم على الرغم من أن البعض يعتبره فهرساً لدير يورك. ويدل على فهارس تلك الفترة أيضاً قائمة سانت أوغسطين المعروفة بعنوان "De Trinitate" وهى عبارة عن قائمة بكتب كتبت على آخر ورقة بيضاء من أحد المخطوطات. ولقد حث الإمبراطور لويس (٨١٤ ـ ٨٤٠) على إعداد الفهارس بالقرار الذى أصدره إلى الأديرة والكاتدرائيات بإعداد قوائم بالكتب التى تملكها[1]. وهذه القوائم والفهارس الباكرة كانت تحكمها ظروف إعدادها كقوائم حصر بالمقتنيات. ولم ترتب الكتب فيها بالمؤلفين وإنما بدرجة الأهمية، فالكتاب المقدس يأتى أولاً، تليه الكتب الدينية الأخرى ثم أخيراً الكتب العلمانية. ومن جهة ثانية لم تهتم تلك القوائم بإعطاء تفاصيل المحتويات لأنه كان من الشائع فى تلك الآونة تجليد عدة أعمال لمؤلف واحد اقتصادا وتوفيرا. وهكذا فإن عشرة مجلدات مثلاً كان من الممكن أن تحتوى على ضعف هذا العدد من الأعمال الفكرية المتميزة. وكان الهدف من القائمة هو تحديد الكتاب أكثر من تحليل محتوياته. ومن حسن الحظ أنهم أدركوا فى القرن التاسع أهمية تحديد

(1) Thompson, J.W. : The Medieval library, New York, Hafner. 1957. p. 615.

الأعمال التى يضمها المجلد الواحد. فقاموا فى بعض فهارس ذلك القرن بتسجيل الأعمال المختلفة داخل كل مجلد وكذلك عدد المجلدات أو اللفافات التى يستغرقها العمل.

وهناك علامة هامة على الفهارس (والببليوجرافيات) فى تلك الفترة وهو العمل المعروف بعنوان "The Myriobiblion" وهو أهم ما أنتجته تلك الفترة وقد توفر على إعداده فوتيوس Photius بطريرك القسطنطينية حوالى ٨٤٢ ـ ٨٤٨ وكان قريب الشبه من فهارس كاليماخوس، لقد كان بدائياً حقاً ولكنه ممتع للغاية فهو عرض لحوالى ٢٨٠ عملاً من أعمال تلك الفترة مع بيانات ببليوجرافية وبيوجرافية ونقدية هامة(١).

لقد قام دير راينلاند العلوى Upper Rhine Land فى لورك Lorsch فى القرن العاشر بإنتاج فهرس شبيه بالسابق على النحو التالى : كتب العبادات، العهود (القديم والحديث) كتب اللاهوت وكتابات البابوات، حياة القديسين، وأخيراً الأشعار مع قليل من كتب المؤلفين الكلاسيكيين(٢) ولقد كان إنتاج الفهارس بين القرن التاسع والحادى عشر نشيطاً لدرجة مذهلة. فقد سجل جوتليب أربعة وعشرين فهرساً من القرن التاسع وسبعة عشر من القرن العاشر وثلاثين من القرن الحادى عشر(٣).

إن فترة فهارس مكتبات الأديرة المبكرة والكاتدرائيات هى مرحلة الفهارس البدائية أو التجريبية، فقد كانت الفهارس عبارة عن قوائم فجة، قليلة البيانات بدون ترتيب واضح. وأصبحت فيما بعد عبارة عن قوائم جرد أو قوائم رفوف توضع بالقرب من صناديق (أرفف) الكتب، وتطورت نحو التوسع فى المعلومات والترتيب مع تطور

(1) Condit, L. : "Bibliography in its prenatal existance". Library Quarterly, Vol. 7. Oct. 1937. pp. 568-572.

(2) Thompson, J. W. Ibid p. 616.

(3) Gottlieb, L. : quoted, in Thompson, J. W : Ibid. p. 611.

المكتبة فأصبحت المخطوطات تصنف أو ترتب طبقاً لموضوعات واسعة وكان الترتيب الغالب أو الشائع هو : الوثائق (المواد الأرشيفية) ثم المتون (الكتب) تليها التعليقات (الحواشى على المتون)، الدساتير (مجموعات القوانين)، محاضر الجلسات، كتابات آباء الكنيسة، الأساطير والخرافات مقسمة تقسيماً خاصاً، كتب اللغة (النحو أولاً ثم البلاغة)، المنطق، الحساب، الهندسة، الموسيقى، الفلك[1]. ويعكس هذا الترتيب مظهراً نفعياً كما يعكس مظهراً فلسفياً. وكلما كانت المجموعات صغيرة كلما كان الترتيب والتقسيم أبسط، وكان هناك ترتيب جانبى بالحجم أو رقم التزويد (المسلسل). لقد كانت الفهارس فى المرحلة المسيحية الأولى أشبه ما تكون بقائمة الرفوف الحالية لتعطى حصراً يسهل الاحتفاظ بالكتب وتحديد أماكنها فى المكتبة.

ومن المؤكد أنه فى الوقت الذى كان فيه الغرب لا يعرف من المكتبات سوى مكتبات الأديرة حتى القرن الخامس عشر الميلادى كان العالم الإسلامى منذ منتصف القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) يغص بأنواع مختلفة من المكتبات فكانت هناك مكتبات الخلفاء، ومكتبات الأكاديميات العلمية ومكتبات المدارس ومكتبات المساجد ومكتبات المستشفيات والربط والخانقاوات بل والمقابر يضاف إلى ذلك الانتشار الهائل للمكتبات الخاصة بالملوك والأمراء والوزراء والعلماء وغيرهم من الناس. وليس هذا بحثاً فى تاريخ تلك المكتبات فنتقصى أخبارها.

ولكن من المحقق الأكيد أنه كانت لكل مكتبة حتى المكتبات الخاصة فهرس خاص بها يحصر ما بها ويدل على مافيها بيد أنه من المحزن أنه لم يصلنا من القرون الأولى للهجرة سوى معلومات مقتضبة جداً عن هذه الفهارس وكان مصير الفهارس نفس مصير المكتبات: الدمار والهلاك بشتى الطرق والوسائل التى أدت إلى زوال تلك المكتبات. وسوف نعتمد لدراسة الفهرسة والفهارس الإسلامية على نتف المعلومات التى تناثرت هنا وهناك دون قصد ممن أوردوها على النحو الذى يلحظه القارئ، ومن

(1) Thompson, J. W. : Ibid, p. 617.

هذه النتف لا يستطيع الدارس أن يكون منها فكرة واضحة كاملة عن العلاقة بين الفهرس ومكان وجود الكتب ولا عن كيفية ترتيب الكتب على الرفوف ولا عن ترتيب الكتب داخل الفهرس ولا حتى عن بيانات الوصف التى أوردت عن كل كتاب بالفهرس.

فهذا هو المسعودى فى مروج الذهب يشير إلى أنه «عرض على المهتدى دفاتر خزائن الكتب فإذا على ظهر بعضها هذه الأبيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه وهى....»[1] فمن هذا النص نستطيع أن نتبين فقط أنه كانت لمكتبات الخلفاء فهارس وأنها كانت على شكل الدفتر أى ما نعرفه فى الوقت الحاضر بالفهرس الكتاب Book Catalogue . وكانت كلمة دفتر وسجل وثبت تعنى فهرس المكتبة وظلت هذه المصطلحات مستخدمة حتى وقت قريب.

وهذا هو الخليفة العباسى المأمون (خلافته ١٩٨ ـ ٢١٨هـ = ٨١٣ ـ ٨٣٣م) قد «دعا بفهرست كتبه وجعل يقلبه فلم يرد لهذا الكتاب ذكراً فقال كيف يسقط ذكر هذا الكتاب عن الفهرست» وكانت المكتبة المقصودة هى مكتبة بيت الحكمة ببغداد التى أسست فى خلافة هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ) والكتاب المقصود هنا هو كتاب جاويزان جرد.

ولعل من أطرف ما ذكر عرضاً عن فهرس مكتبة إسلامية ما ورد بخصوص مكتبة عضد الدولة البويهى (توفى ٣٧٢هـ ـ ٩٨٢م) مما ذكره المقدسى فى كتابه : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم وكان معاصراً لعضد الدولة قال يصف تلك المكتبة «... وخزانة الكتب حجرة على حدة، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبق كتاب صنف إلى وقته من أنواع العلوم كلها إلا وحصله فيها. وهى أزج طويل فى صفة كبيرة فيه خزائن من كل وجه وقد ألصق إلى جميع حيطان

(١) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة فى العراق. بغداد. مطبعة المعارف. ١٩٤٨. ص١٠٢.

(٢) المصدر السابق. ص ١١٢.

الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة فى عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق، عليها أبواب تنحدر من فوق والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامى الكتب لا يدخلها إلا وجيه».

ويستفاد من هذا النص الذى يرجع إلى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) أن المكتبة كانت مصنفة وكانت هناك قوائم رفوف تتضمن بياناً بالكتب الموجودة على الرفوف وأنه كان هناك فهرس عام مرتب بعناوين الكتب الموجودة فى المكتبة.

وقد روى الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ) عن مكتبة بخارى التى كان يرتادها قال «فطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه فيها ورأيت من الكتب مالم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته من بعد».

وأثبت ابن خلدون أن أسماء دواوين الشعر فى مكتبة قرطبة عاصمة خلفاء بنى أمية فى الأندلس «كانت مدونة فى ثمانية وثمانين صفحة». وقد ذكر وليم درابر فى كتابه «التنازع بين العلم والدين» أن مكتبة قرطبة المذكورة قد اشتملت على ستمائة ألف مجلد وأن فهرست أسماء تلك الكتب كان يتألف من أربعة وأربعين مجلداً.

والذى نخرج به من النصوص السابقة حتى الآن هو أن وظيفة الفهرس كانت مجرد حصر موجود المكتبة من الكتب وليس أداة لتحديد مكان الكتاب بالمكتبة حيث كانت هذه وظيفة قائمة الرف التى تلصق على الرفوف. أما كيف رتبت الكتب فى الفهرس وما هى البيانات الببليوجرافية التى تعطى عن كل كتاب هذا ما تصمت عنه تلك الإشارات السريعة.

ولقد صمت القرن الخامس الهجرى (١١م) هو الآخر رغم كل محاولات استنطاقه عن إعطاء تفاصيل عن فهارس المكتبات وكيفية إعدادها. فهذه مكتبة ساور بن اردشير (توفى ٤١٦هـ ـ ١٠٢٥م) وزير بهاء الدولة البويهى أحسن مكتبات

أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى كل مانجده أن صاحبها «ابتاع داراً من الكرخ بين السورين وعمّرها وبيّضها وسماها دار العلم ووقفها على أهله ونقل إليها كتباً كثيرة ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرستا...».

لقد كان بهذه المكتبة أكثر من عشرة الاف مجلد فكيف كانوا يصلون إلى أى منها وكيف رتب الفهرس وما هى البيانات الببليوجرافية به؟ لقد طوى السر مع الفهرس الذى كان مصيره مصير المكتبة نفسها.

إن من السخرية أن تمدنا المصادر بأسماء من تولوا أمانة المكتبة بالتفصيل حتى توفيق السمراء مناولة الكتب وتصمت عن إعطاء أية معلومات عن الفهرس.

يقول ابن الجوزى (المتوفى ٥٩٧هـ ـ ١٢٠٠م) فى صيد الخاطر عن مكتبة المدرسة النظامية فى بغداد... «ولقد نظرت فى ثبت الكتب الموقوفة فى المدرسة النظامية فإذا به يحتوى على نحو ستة آلاف مجلد».

وهكذا يصمت القرن السادس الهجرى هو الآخر عن إيراد معلومات عن الفهرسة والفهارس فى مكتبات عظيمة القدر والمجموعات، أفاضت المصادر فى التنويه بها وذكر من تولوا أمانتها ورواتبهم وغير ذلك...

العصور الوسطى المتأخرة
من القرن الثانى عشر إلى القرن الرابع عشر

القرن الثانى عشر :

استمر ترتيب الفهرس فى هذا القرن على نفس النهج العشوائى، والجزء الباقى من فهرس ١١٥٨ الخاص بدير بروفننج Prüfening يشير إلى ترتيب زمنى لكل

الكتب بعد الكتاب المقدس والأعمال المتعلقة به، ولقد كان جامع هذا الفهرس بعيد النظر إلى حد أنه ترك حيزاً للكتب التى تأتى بعد ذلك[١].

وكان فهرس كنيسة المسيح The Christ Church الذى يرجع إلى سنة ١١٧٠ أول فهرس يستخدم الربط بين الكتب فى الفهرس والكتب فى الخزائن عن طريق الحروف[٢] أما فهرس كاتدرائية لنكولن الذى يرجع إلى حوالى ١٢٠٠ فقد استمر فى استخدام الكلمات الأولى من النص بدلاً من العنوان أحياناً ولكنه يضيف ملمحاً جديداً لم نجده من قبل وهو عمل مقدمة[٣].

وعلى الرغم من أننا لم نقدم سوى عدد محدود من نماذج الفهارس فى القرن الثانى عشر إلا أن هذا القرن قد تميز بعدد وفير منها إذ توفر جوتليب على سرد اثنين وستين نموذجاً منها. ومع ذلك فإن فهرس هذا القرن ظل عبارة عن قائمة حصر تفتقر إلى نظام معين للترتيب. وكان عادة ما يكتب على عمودين على رق. وكان الترتيب الموضوعى الواسع هو الأساس مع ترتيب فرعى زمنى فى الغالب وقلة هجائية بأسماء المؤلفين. ولم يكن ذكر اسم المؤلف إلا لتمييز العمل ولم يعرف هذا الاسم الاهتمام أو الدقة الكافية والمعلومات الببليوجرافية كانت مختصرة للغاية وتتكون أساساً من اسم المؤلف مختصراً والعنوان مختصراً أو مبتوراً مع الكلمات الأولى من النص، وفى بعض الأحيان القليلة بعض الصفات الدالة على الحالة المادية للكتاب واللون وعدد الأعمال فى المجلد إذا كان يحوى عدداً منها. وكانت إضافة الكلمات الأولى من النص ضرورية لتمييز الأعمال المتشابهة فى عناوينها أو التى ليس لها عنوان. ومهما يكن من أمر فإن المعلومات الببليوجرافية فى مجموعها كانت من الغموض والقلة بحيث لا تساعد من لا يستعملون الكتب نفسها.

---

(1) Thompson, J. W. Ibid. p. 617.

(2) Ker, N. R. (Edt), : Medieval libraries in Great Britian. 2nd ed. London, Royal Historical Society, 1964. p. XIX.

(3) Norris, D. M. Ibid pp. 20-22.

القرن الثالث عشر :

لقد شهر القرن الثالث عشر إصراراً على ترتيب الرفوف فى الفهارس مع العناوين المختصرة والكلمات الأولى من النص، فهذا هو فهرس جلاستون برى سنة ١٢٤٧ يستخدم طريقة فريدة فى تصنيف الكتب[١]. فالكتب المجهولة المؤلف أو الغير مشهورة المؤلف ولكنها هامة كانت تدرج تحت موضوعاتها. أما تلك الكتب شهيرة المؤلفين فكانت ترتب حسب المؤلفين. وهذا الاتجاه فى الواقع هو محاولة لإختيار المدخل الذى يفيد القارئ وهى نقطة هامة فى تاريخ اختيار المدخل.

وبدايات الفهارس الموحدة يمكن تتبعها فى الفهرس المعروف «سجل المكتبات الانجليزية Registrum Librarum Anglise ١٢٥٠ ـ ١٢٩٦» الذى كان يحاول حصر مقتنيات ١٨٣ مكتبة ديرية فى انجلترا، ولكنها لم تكتمل.

وأول معلومات عن المكتبات الجامعية جاءت عن فهرس السوربون فى جامعة باريس سنة ١٢٨٩ وكان يضم ١٠١٧ كتاباً باللاتينية وأربعة فقط بالفرنسية وهو مرتب على عشرة أقسام رئيسية. سبعة منها للآداب بالإضافة إلى اللاهوت والطب والقانون أما المؤلفون فقد رتبوا هجائياً داخل كل قسم ويتبع اسم المؤلف بعنوان الكتاب والكلمات الأولى من النص[٢].

وعن مكتبة مدرسة الإمام أبى حنيفة يذكر ابن الساعى المؤرخ البغدادى فى الجامع المختصر عند حديثه عن التوقيع الذى كتب سنة ٦٠٤هـ ـ ١٢٠٧م لضياء الدين أبى الفضل أحمد بن مسعود التركستانى الحنفى نصاً صريحاً بالأعمال التى أنيطت به فى المكتبة... «وليثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها، معارضاً ذلك بفهرسته، متطلباً ما عساه قد شذ منها وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها

(1) Ibid. p. 29-30.

(2) Johnson, E.D. Ibid p. 122-123.

ونفضها فى كل وقت ومرمة شعثها وأن لايخرج شيئاً منها إلا إلى ذى أمانة مستظهراً بالرهن عن ذلك».

والحديث هنا عن الفهرس العربى فى أول القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) يؤكد أنه مازال أداة جرد وليس وسيلة إيجاد وتحديد لمكان الكتاب داخل المكتبة.

وعن مكتبة المدرسة المستنصرية فى بغداد التى شيدها الخليفة العباسى المستنصر بالله سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٢م) والتى ماتزال بقاياها قائمة على ضفة دجلة اليسرى إلى الآن تقول بعض المصادر أن المستنصر بعد أن انتهى من بناء المدرسة نقل إليها الكتب وقد حملها مائة وستون حمالاً ووضعت فى المكتبة وكلف الشيخ عبد العزيز بن دلف الخازن بالحضور إلى المدرسة «وإثبات الكتب واعتبارها وإلى ولده العدل ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التى فى داره أيضاً فحضر واعتبرها ورتبها أحسن ترتيب مفصلاً لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها»(١).

والنص هنا صريح يدل على إعداد فهرس للمكتبة (إثبات الكتب) وجرد مجموعاتها (اعتبارها) كما يدل على تصنيف الكتب داخل المكتبة، ولكنه لا يشير إلى الحال التى كان عليها هذا الفهرس ولا إلى البيانات الببليوجرافية، ولا إلى نظام التصنيف المتبع فى المكتبة وكيفية الربط بين الفهرس والمكتبة. وهذا يدل على استمرار وظيفة الجرد فى فهرس المكتبة العربية وليس كأداة تحديد لمكان الكتاب.

وتعتبر مكتبة جامع القيروان فى تونس من أقدم مكتبات المساجد فى العالم الإسلامى إذ ترجع إلى منتصف القرن الثالث الهجرى بعد أن أنهى بنو الأغلب بناء الجامع وتوسيعه، وهى لهذا تضم مجموعة من ذخائر المخطوطات العربية ترجع إلى القرون الثالث والرابع والخامس والسادس الهجرى.

---

(١) فى كوركيس عواد. المصدر السابق ص ص ١٦٣-١٦٤.

وقد عثر الأستاذ ابراهيم شبوح على فهرس لهذه المكتبة يرجع إلى أواخر القرن السابع الهجرى (٦٩٣هـ). اعتمد هذا الفهرس على فهرس آخر قديم لمحتويات المكتبة لم يعرف تاريخه على وجه التحديد إنما جاء ذكره عرضاً فى الفهرس الذى بين أيدينا وكان الهدف من إعداد الفهرس الجديد هو الجرد كما ورد ذلك فيه إذ توفر الذين أعدوه على «اختبار النسخ» من حيث الزيادة والنقصان والنظر فى ذلك بأتم وجوه النظر والاجتهاد وضم ما تفرق من أجزائها ورد كل شكل منها إلى شكله وإعادته إلى موضعه وجبر ما وقع الجبر فيه منها»(١).

ويقع هذا الفهرس فى كراس من رق مقاس ٢٣ × ٣٢سم بحبر أسود على إحدى عشرة صفحة كما نص فى ورقة ٥ ، إلا أنه ينقصه الورقة الثانية. وتتراوح سطور الصفحة بين ستة وعشرين سطراً وثمانية وعشرين. وقد استخدم الفهرس كلمة «السجل» للإشارة إلى الفهرس القديم وكلمة «الدفتر» إلى الفهرس الذى بين أيدينا(٢).

وباختبار هذا الفهرس نخرج بالمؤشرات الآتية :

(أ) أنه لا توجد خطة معينة لترتيب الكتب فيه، بل سجلت كما اتفق وبشكل اعتباطى.

(ب) أن كل كتاب سجل فى سطر مستقل ولعل هذا هو السبب فى كبر حجم الفهرس عما هو مألوف.

(جـ) أن المعلومات الببليوجرافية تؤكد سيادة روح قائمة الجرد ففيها من الوصف المادى للكتب المفهرسة أكثر مما فيها من المعلومات عن العنوان أو مؤلف

---

(١) ورقة ٥ ب من الفهرس.

(٢) ابراهيم شبوح. سجل قديم لمكتبة جامع القيروان. مجلة معهد المخطوطات. المجلد الثانى. الجزء الثانى، نوفمبر ١٩٥٦. ص ٣٤٤.

الكتاب، وكان المفهرس بين الحين والآخر يعود للسجل القديم لمقارنة ما هو موجود به بما وجدت عليه الكتب.

(د) كان المفهرس يشير أحياناً إلى مكان وجود الكتاب فى الجامع وهنا نصادف ربطاً بين الفهرس وخزانة الكتب.

مثالان على ذلك الكتاب رقم (١٠٥) والكتاب رقم (١١٣)

«١٠٥ ـ وثلاثة وأربعون دفتراً من النوادر لأبى محمد بن أبى زيد فى الطبق من الكاغد مغشاة بالرق، بخط صقلى مكتوب عليها : حبس بمدينة القيروان على من يقول بقول مالك وأصحابه».

(١١٣ ـ ودفتر من الكاغد فى نصف الطبق من المستقصية لما فى موطأ مالك (مما) لم يروه وهى ليحيى بن مزين».

(هـ) يخلو هذا الفهرس من أية علامة للترقيم بل والأعجام فى الأعم الأغلب.

وأحسن مثال لوصف كتاب فى هذا الفهرس هو الكتاب رقم (١٠٢)

وهو «موطأ مالك بن أنس ـ رضى الله عنه ـ رواية سحنون بن سعيد فى جزء واحد بخط مشرقى، مسطرة عشرين. فى الطبق من الكاغد الشرقى جميع أبوابه وأسماء الكتب فيه مكتوبة بالذهب مغشى جلد أحمر ترهل بطانة حرير أزرق وعليه مكتوب ذكر التحبيس على جامع القيروان».

(ز) يبدو أن المجموعات كانت موزعة بين مكانين أغلبها فى مقصورة المسجد وبعضها فى الطبق وكان يسجل كلمة الطبق فقط عن الكتب التى فى هذا المكان ويهمل ذكر المقصورة على اعتبار أنها الأصل بدليل ما جاء فى نهاية الوثيقة من أنه « ... وأعيدت الختم والكتب العلمية المذكورة بمواضعها فى بيت الكتب الذى بالمقصورة المذكورة بمعاينة شهوده محتاطا عليها وجعل هذا

الدفتر المذكور مع السجل القديم المذكور فى الجمعية الكبيرة[1] التى بالمقصورة المذكورة التى كان السجل المذكور فيها قبل هذا مع غيره صيانة له».

(ح) أنه جريا على عادة الفهارس العربية القديمة اختتم الفهرس بتوقيع الشهود وعددهم سبعة وهذا يؤكد مرة أخرى شيوع روح فكرة الجرد والحصر وليس روح البحث والايجاد فى الفهارس العربية.

القرن الرابع عشر :

شهد القرن الرابع عشر وفرة فى نماذج الفهارس ولكنها لم تقدم إلا القليل من التجديد وقد أصبح الترتيب الموضوعى شائعاً فيها فإن خمسة من الفهارس السبعة التى شرحتها نوريس مرتبة موضوعياً. أما فهرس كنيسة المسيح فى كانتبرى ١٣١٣ ـ ١٣٣١ فهو الأول الذى حاول الترتيب الهجائى تحت رأس موضوع واحد على الأقل هو اللاهوت. كما كان ه نظام علامة الرف الموجودة عليه الكتب ومحاولة تحليل الأعمال الموجودة داخل المجلد الواحد[2]، من التجديدات فيه.

أما فهرس مكتبة كاتدرائية اكسيتر Exeter Cathederal library سنة ١٣٢٧ فقد كان فهرساً بالمؤلف مع رأس موضوع واحد، وقد كان يقيم كل كتاب مما يدل على أن الهدف منه أنه كان قائمة جرد ليس إلا.

وفهرس مكتبة Saint Martin's Priory فى دوفر سنة ١٣٨٩، أتبع نظاماً غريباً، فقد رتب على ثلاثة أقسام برقم مكان الكتاب. والقسم الأول منه خاص لاستخدام أمين المكتبة وهو عبارة عن قائمة رفوف جدولية، والثانى تكرار لقائمة الرفوف مع تعديل الأعمال الفردية التى يضمها كل مجلد والثالث كشاف هجائى تحليلى قصد

(١) نعتقد أن المقصود بالجمعية الكبيرة هنا «المجموعة الكبيرة».

(2) Norris, D. M. Ibid p. 38.

من ورائه تحليل مكان وجود أى عمل مفرد داخل المجلد[1] وإن إضافة الكشاف الهجائى بأسماء المؤلفين هنا يعتبر بعداً جديداً فى فهرس حقيقى لم يتوافر فى أى فهرس آخر فى ذلك الوقت. وبالمثل يعتبر فهرس مكتبة كنيسة لايكستر سنة ١٣٩٤ الذى قدم لنا فهرساً مزدوجاً بالمؤلفين والموضوعات[2] من الفهارس المجددة.

أما فهرس كنيسة مو سنة Meaux Abby ١٣٩٦ والذى رتب بمكان الرفوف والتى كانت متناثرة حول الكنيسة، هذا الفهرس أيضاً تميز بشئ فريد وهو الإشارات الكثيرة فى مقدمة الفهرس إلى أصوله، وهذه الإشارات تفيد فى تتبع الفهرس الكتاب وهو الظاهرة التى انتشرت فيما بعد القرن التاسع عشر.

والمتأمل فى فهارس القرن الرابع عشر يجدها هى الأخرى فى حقيقة الأمر مجرد قوائم جرد مرتبة بموضوعات واسعة مع الربط بين الكتب فيها وأماكن وجود الكتب على الرفوف؛ وكان هذا عبارة عن التصنيف المتبع على الرفوف، وما كان للفهرس إلا أن يدل عليه. وقد شجعت هذه الفكرة إضافة علامات الرفوف للمساعدة عند إعادة ترفيف الكتب. وقد صممت كل مكتبة نظاماً خاصاً بها مبنياً على الحروف الهجائية أو الأرقام الرومانية أو العربية. ففهارس دوفر (١٣٨٩) ودورهام (١٣٩١) وضعا نظام تسجيل «الكلمات الافتتاحية من الورقة الثانية فى كل كتاب» وهو النظام الذى شاع فى القرون التالية تقريباً[3].

عصر النهضة الأوربية والانتكاسة العربية

لقد كان القرن الخامس عشر والسادس عشر فترة القفز الاجتماعى والاقتصادى

(1) Savage, E. : Old English libraries.: the making, collection and use of books during the middle ages. London. Methesen, 1911. p 105-106.

(2) Thompson, J. W. Ibid p. 620.

(3) Ker. N. R. Ibid p. XIX-XX.

والثقافى فى أوروبا مما هز الكيان والبنية الاجتماعية كلها. وقد نقلت حركة الإصلاح القوة من الكنيسة القديمة بشموليتها إلى حلقة أوسع من السلطات والمنظمات فى العديد من الدول. وكان لإنهيار النظام الديرى فى انجلترا أثره فى نقل مجموعات الكتب إلى مكتبات الأفراد، والكليات والجامعات التى ورثت وظيفة تلك الأديرة فى عهد هنرى الثامن (١٥٣٦ ـ ١٥٣٩) وحدث مثل هذا الشئ فى دول أوربية كثيرة. وكان لعصر النهضة أثره البالغ فى زيادة عدد الباحثين والعلماء، وكان لدخول الطباعة بالحروف المتحركة أثر فعال فى توحيد شكل نسخ الكتاب الواحد وكان انتقالاً كبيراً من شكل المخطوط. وكان الكتاب المطبوع بداية ثورة حقيقية فى الضبط الببليوجرافى الذى كان عليه أن يلاحقها. وانتهى الركود والخمول الذى صادفناه فى القرون السابقة. حقاً لقد بدأت المكتبات الخاصة لترضى أذواق أصحابها ولكنها كانت محدودة العدد بسبب ارتفاع الأسعار لقلة النسخ المطبوعة من الكتاب الواحد. ولكن النهضة جاءت معها بمزيد من المكتبات وبأنواع جديدة لم تكن موجودة من قبل. وكلما تطورت وتعددت كلما تطورت أساليب إعداد الفهارس والضبط الببليوجرافى. ولكنها لم تكن تمثل القفزة المطلوبة بسبب عدم وضوح الرؤية وقلة الامكانيات، والتقيد بالتقاليد، مما يجعل القرنين الخامس عشر والسادس عشر مجرد مرحلة انتقال، جاءت بعدهما مرحلة جديدة أينعت فيها الفهارس والفهرسة فى القرون الثلاثة التالية.

القرن الخامس عشر :

لقد ظهر فى مطلع هذا القرن الفهرس المسمى Catalogus Scriptorum Ecclesiae الذى أعده جون بوستن أحد رهبان دير سانت أدموندز فى برى، وكان واضحاً أنه يحاول استكمال الفهرس الموحد السابق الإشارة إليه الذى صادفناه فى القرن السابق يدل على ذلك استخدام نفس طريقة الترقيم فى كلا الفهرسين، إلا أنه ارتفع بعدد

المولفين من خمسة وثمانين إلى سبعمائة وأضاف مكتبات أخرى لم تكن مضمنة فى الفهرس السابق وأعطى معلومات بيوجرافية عن كل منهم[1].

ويمثل فهرس مكتبة أمبلوينوس راتنك دى بركا (١٤١٠ ـ ١٤١٢) الخاصة والتى أهديت بعد ذلك إلى جامعة ايرفورت، حقا أحد الفهارس المصنفة الذى أعد بعناية شديدة فى ذلك القرن فالترتيب يبدأ بموضوعات واسعة مثل النحو، الشعر، المنطق، البلاغة، الرياضيات، الفلسفة الطبيعية، الميتافيزيقا، الفلسفة الأخلاقية، الطب، القانون، اللاهوت، مع تحليل لمحتويات كل مجلد.

أما الفهرس المعاصر له وهو فهرس مكتبة بيتر هوس Peterhouse Library فى كامبردج لسنة ١٤١٨، فقد رتب حسب الموضوعات التقليدية وقسم الكتب إلى مجموعتين متميزتين إحداهما : مراجع يرجع إليها فقط وكانت عبارة عن الكتب المربوطة بسلاسل إلى أماكنها فى المكتبة. والثانية : كتب عادية للإعارة للأتباع والمريدين. ويتميز هذا الفهرس عما عداه بإستخدامه للكلمة الأخيرة من الورقة الثانية فى المكتبات بالإضافة إلى استخدامه للكلمات الأولى من النص، وهو ما كان معمولاً به. هذا النمط اتبع أيضاً فى فهرس جامعة كامبردج لسنة ١٤٢٤[2].

كما أقر فهرس مكتبة الفاتيكان لسنة ١٤٨١ مسألة ترتيب الكتب فى موضوعات واسعة كما هى مرتبة تماماً فى خزائن الكتب بالمكتبة. وكان هذا الفهرس عبارة عن قائمة جرد بسيطة لبيان مكان الكتب فى الخزانات، وكانت موزعة على : اللغة اللاتينية، اللغة اليونانية، المكتبات الداخلية، مكتبة بونتفيكيا.

ولعل أهم فهارس ذلك القرن هو فهرس مكتبة سانت أوغسطين فى كانتبرى لسنة ١٤٩٧. وكان يتألف من ثلاثة أقسام : الأول : قائمة تحديد مكان الكتاب بالضبط

(1) Savage. E. Ibid p. 58-59.

(2) Norris, D., M. Ibid pp. 91-93.

على شكل جداول و/ أو اسم المستعير. الثانى : قائمة هجائية ـ غير مكتملة ـ بكل الكتب فى المكتبة مع إحالة إلى الصفحة التى توجد بها المعلومات الكاملة عن المكتبات وعلامة وجوده مع نفس الفهرس. والثالث : وهو القسم الرئيسى، وهو الذى يعطى المعلومات الكاملة عن الكتاب؛ وهى أساساً اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم الواهب (المهدى) الذى قدم الكتاب، محتويات الكتاب (أى عناوين) إذا كان المجلد يحتوى على عدة أعمال، الكلمات الأولى من العمل الثانى فى نفس المجلد وعلامة المكان. (التى تحدد وجود الكتاب)[١].

ولقد كانت مشكلة الترتيب الهجائى ـ بما فى ذلك ما بعد الحرف الأول ـ أكثر شيوعاً فى بقية دول القارة عنها فى إنجلترا إبان ذلك القرن. وقد كشفت الفهارس العديدة التى أعدت فى النمسا وألمانيا عن محاولات أكثر منطقية لتسهيل الوصول إلى ترتيب الكتب على الرفوف فمثلاً هناك كشاف هجائى بالكلمات الدالة لقوائم الرفوف أعد فى إحدى مكتبات الأديرة النمساوية فى أجسباك Aggsback . كما أعدت قائمة بأسماء المؤلفين، قائمة برؤوس الموضوعات، قائمة بعناوين الكتب مجهولة المؤلف، أعدت جميعها ككشافات لفهرس مكتبة دير ملك Melk Monastery سنة ١٤٨٣. كما شهد نفس هذا القرن نوعان من الفهارس القاموسية متعددة المداخل فى سياق واحد بالمؤلف والعنوان فى أديرة ربدورف فى إيخستات Rebdorf at Eichstactt. إيجيديان فى نورنبرج. Aegidan at Nurënberg[٢] .

ولقد كان التغيير الواضح فى خلال القرن الخامس عشر هو الكسر الذى حدث فى الطرق التقليدية للضبط الببليوجرافى سواء داخل المكتبات أو خارجها. وبصفة عامة لم تكن فهارس المكتبات الجامعية منظمة ومتطورة على نفس المستوى الذى

(1) Savage, E. Ibid p. 104.

(2) Verner, M. "Adrien Baillet (1649-1706) and his Rules for an alphabetical subject catalog" Library Quarterly, Vol. 38, July 1968. pp. 217-230.

وصلت إليه فهارس مكتبات الأديرة. وقد ظل الترتيب الموضوعى لقوائم الحصر هو النظام السائد، ولكن فى نفس هذا القرن بدأت بوادر فكرة قوائم الإيجاد (تحديد المكان) ولكن على استحياء وببطء شديد، كما بدأت فكرة كشافات المؤلفين ولكن بيانات الوصف بقيت تقريباً على حالها، مع ظهور نوع من التعليقات على بعض المفردات ولكن على نطاق ضيق رغم وجود استثناءات فى فهرس دورهام Durham لسنة ١٤١٦ الذى أضاف معلومات جديدة مثل قيمة الكتاب، حجمه، الكتب المشكوك فى نسبتها إلى المؤلف، الكتب المنتحلة، وتحديد مكان الكتاب فى خزائن المكتبة[١].

لقد قرر تومسون أن ذكر عدد الصفحات فى أى فهرس لم يظهر إلا سنة ١٤٦٥[٢] وكان ذكر علامة المكان امتداداً للقرن الرابع عشر ولكن ظهر فى القرن الخامس عشر استخدام الكلمات الأخيرة من النص، إلى جانب استخدام الكلمات الأولى من النص، وكان هذا تجديداً لم نجده من قبل.

وربما كان فهرس سانت أوغسطين الذى قررناه من قبل هو أحسن ما أنتج من فهارس فى ذلك القرن بتحليله لأجزاء المجلد الواحد مع استخدام الاحالات إلى أجزاء أخرى من الفهرس.

ولا ينبغى أن نترك هذا القرن قبل أن نشير إلى المأتى الهام الذى ابتدعه جوهان تريتهايم الذى بدأ حياته الببليوجرافية بإعادة تنظيم وفهرسة مكتبة أحد الأديرة الألمانية فى أسبونهايم، والذى اكتشف أثناء إنغماسه فى عمله قيمة إعداد ببليوجرافية بأعمال المؤلفين القدماء، وقد أتم هذا العمل سنة ١٤٩٤ تحت عنوان Liber de scriptoribus ecclesiasticis وسجل فيها حوالى سبعة آلاف كتاب، ولها قيمة دراسية عالية. وكان إدخال الكشاف الهجائى بالمؤلفين بأسمائهم الأولى Christian

(1) Norris, D. M. Ibid pp. 78-87.

(2) Thompson, J. W. Ibid p 621.

names لتسهيل استخدام الترتيب الزمنى الذى أتبع فى الجسم الرئيسى للببليوجرافية، كان مبدأ استقر لعدة قرون تالية[1]. وهكذا أصبح وجود أكثر من مدخل للوصول إلى الكتب فى الفهرس إجراء ببليوجرافياً مقرراً فى الفهارس كقوائم إيجاد وعنصراً أساسياً من عناصره.

وفى وثيقة توفر الأستاذ الدكتور عبد اللطيف إبراهيم على نشرها فى كتابه «دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية» ترجع إلى ١٠ شوال سنة ٨٧٨هـ نجد فهرساً لمكتبة خاصة أوقفها صاحبها الشيخ شمس الدين محمد بن المرحوم جمال الدين عبد الله بن عبد العزيز المغربى المراكشى وقد رتب هذا الفهرس ترتيباً مصنفاً برؤوس موضوعات واسعة وإن لم يبرز هذه الرؤوس فى سطور مستقلة أو يميزها بل يسمى الموضوع ثم يسرد الكتب فيه وقد حصر الدكتور عبد اللطيف الموضوعات على النحو التالى :

التفسير (للقرآن)	سطر ٥
القراءات	سطر ٦
الحديث ومصطلحه	سطر ٦
التصوف	سطر ٨
الفقه	سطر ١٠
أصول الفقه	سطر ١٧
الفرائض والحساب	سطر ١٩
النحو	سطر ٢١
أصول الدين (التوحيد)	سطر ٢٧
المنطق	سطر ٣٠

(1) Besterman, Theodor : The beginings of systematic bibliography. 2nd ed. Oxford. The University Press, 1936. pp. 7-10.

الطب	سطر ٣٠ـ٣١
التاريخ	سطر ٣٢
اللغة	سطر ٣٢ـ٣٣[١]

ومن دراسة هذا الفهرس نخرج بالمؤشرات الآتية :

١ـ أن وظيفة الجرد ماتزال تسيطر على فهارس هذا القرن ويبدو هذا واضحاً من وصف الدكتور عبد اللطيف إبراهيم له بأنه وثيقة إدارية، وكشف بالكتب الموقوفة لكى يتسلمها أمين المكتبة بناء عليه.

٢ـ أنه بعد ذكر الموضوع تسرد الكتب بالكلمات الدالة فى عناوينها وليس بالعنوان الكامل للكتاب وعدد الأجزاء وأحياناً عدد النسخ من كل كتاب.

٣ـ كان اسم المؤلف يذكر أحياناً وفى الأعم الأغلب بالجزء الأشهر فقط دون سائر أجزاء الاسم.

٤ـ أحياناً كان يكتفى باسم المؤلف عوضاً عن عنوان الكتاب لعلمهم أن الكتاب يعرف بصاحبه أكثر وربما لأنه ليس للمؤلف أكثر من كتاب.

٥ تنعدم علامات الترقيم تماماً فى الفهرس.

وأحسن مثال من هذا الفهرس هو ما ورد فى السطر ١٣ من الوثيقة ونصه «جزء واحد للقاشانى التلقين جزء شرح التلقين ثلاثة أجزاء عيون المسائل جزء المختصر للشيخ خليل أربع نسخ».

ويذكر شمس الدين السخاوى فى «الجواهر والدرر» عند ترجمته لشيخ الإسلام ابن حجر عند الكلام على وظائفه أنه كان بيده خزانة الكتب بالمدرسة المحمودية بعد

(١) عبد اللطيف إبراهيم : دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية. القاهرة. المؤلف. ١٩٦٢. البحث الثالث ص ص ٧–٨.

أن عزل عنها خازنها فخر الدين عثمان البكرى التلاوى ثم القاهرى المعروف بالطاغى فى سنة ٨٢٦هـ لكونها نقصت بتفريطه العشر وهو أربعمائة مجلدة لأن كتبها كانت أربعة آلاف مجلدة ولنفاسة كتبها قام ابن حجر بنفسه على أمانة المكتبة «وعمل لها فهرستا على الحروف فى أسماء التصانيف ونحوها وآخر على الفنون» وقد انتفع بذلك ونفع الله به...[١]

ورغم أننا لم نصل إلى نص هذا الفهرس إلا أننا نضع أيدينا على وجود نوعين من الفهارس فهرس هجائى بالعنوان وفهرس بالموضوع، هل كان الأخير مصنفاً أو هجائياً بالموضوعات.. لا ندرى ولكن أغلب الظن أنه كان مصنفاً بموضوعات واسعة جرياً على عادة الفهارس فى ذلك القرن.

القرن السادس عشر :

استمرت فكرة الجرد (الحصر) فى فهارس القرن السادس عشر أيضاً، ومع هذا فقد وجدنا فهارس تذهب إلى أبعد من ذلك مثل فهرس سانت مارتن بريورى من دوفر Saint Martin's Priory of Dover الذى أعطى مكان وجود الكتاب بخزائن الكتب وأعطى مداخل تحليلية. ولقد كانت أهمية تحليل أجزاء المجلد الواحد بارزة فى العديد من الفهارس ولكنها لم تكن شائعة عالمياً.

ولم يكن للمدخل المستخدم فى ذلك الوقت شبه بالفهارس فى الوقت الحاضر، بل كان يقتصر فقط على العنوان والكلمات الأولى من النص وربما الكلمات الأخيرة فى قليل من الأحيان. وكان لابد من تعديل هذا الإتجاه جزئياً خلال هذا القرن السادس عشر والقرن السابع عشر وذلك لإنتشار الكتب المطبوعة، وحيث انتقل إعداد الفهارس من الأديرة إلى جامعى الكتب. وكان هذا القرن خصباً فى إنتاجه

(١) فوائد سيد : نصان قديمان فى إعارة الكتب. مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الرابع، الجزء الأول مايو ١٩٥٨. ص ١٢٨.

للفهارس، ويعود بعض التأثير على إعداد الفهارس فى تلك الفترة إلى الفهرس المنسوب لكل من جزنر، ترفلروس ومونسيل Gesner, Triflerus, Maunsell حيث نجد جهودهم تنصب على إخراج فهرس منهجى بدلاً من الفهارس العشوائية الإجتهادية فى القرون الماضية.

وليس هناك من فهارس الأديرة فى تلك الفترة سوى فهرسين يستحقان الذكر : الأول : فهرس سيون Syon لسنة ١٥٢٦، وذلك لأنه أول فهرس بالإنجليزية يستخدم فكرة تريتهايم لعمل كشاف هجائى باسم المؤلفين. وقد استخدم هذا الفهرس الترتيب الموضوعى فى الجسم الرئيسى وجعل لكل موضوعاً حرفاً من حروف الهجاء يدل عليه وتحت كل منها رتبت الكتب حسب رقم الورود (بالأرقام العربية) وهذه الأرقام كانت تمثل مكان وجود الكتاب فى خزائن الكتب. وهذا الفهرس كان يسجل أيضاً اسم مهدى الكتاب والكلمات الأولى من العمل الثانى بالإضافة إلى المدخل المختصر المستخدم فيه. والثانى : هو فهرس مكتبة دير بريتون Bretton ويرجع إلى سنة ١٥٥٨ وهو أول فهرس يتضمن أسماء المحررين والمترجمين.

لقد قدم كونراد جزنر إحدى الإضافات الهامة فى ذلك القرن، عندما أصدر فى سنة ١٥٤٥ أول مجلد من الببليوجرافية الدولية الشاملة المسماه : Bibliotheca Universalis وقد قسم هذا العمل إلى عدة أجزاء متميزة. الأول : وهو الرئيسى واشتمل على المؤلفين اللاتينيين واليونانيين والعبريين الذين توصل المؤلف إلى معرفتهم وكان الترتيب بالإسم الأول للمؤلف مع قائمة إضافية بالأسماء مقلوبة[1]، والثانى : بالموضوع ومعنون Pandectarum وهو إعادة ترتيب لمحتويات الجزء الأول بالموضوع حيث قسمت المفردات على واحد وعشرين موضوعاً وهو عدد أكبر من أى عدد وجد فى الفهارس السابقة أو المعاصرة، وتعتبر هذه خاصية جديدة لم تكن

(1) Besterman, Theodore; Ibid. p. 15.

موجودة من قبل. كذلك استحدثت هنا رؤوس موضوعات فرعية، كما ألحق به كشاف هجائى بالموضوعات وهى جميعاً ملامح جديدة لم تكن موجودة من قبل. ومن قبيل التزيد قدم جزنر لجامعى الكتب بعض التعليمات لترتيب الكتب فى المكتبات فاقترح أن ترتب الكتب بالحجم أولاً ثم بأى نظام آخر بعد ذلك على الرفوف.

لقد كان يكفى فهرس كتب مرتب حسب ترتيب الكتب على الرفوف مع كشاف هجائى بالمؤلفين فى نظر جزنر، رغم أنه أوصى بأهمية وجود سجل تسجل فيه الكتب مسلسلة حسب ورودها. وبالإضافة إلى تلك النصائح والإقتراحات أشار إلى أن أية ببليوجرافية Bibliotheca يمكن أن تصبح فهرساً إذا أضيفت إليها علامات وجود الكتب على الرفوف.

وهناك نموذج آخر على وجود فهرس منهجى نشر سنة ١٥٦٠ على شكل دليل فى مدينة أوجزبرج توفر عليه فلوريان ترفلروس، وهو راهب بندكتى طالب بضرورة وجود خمسة فهارس الأول : هجائى بأسماء المؤلفين. والثانى : مصنف أو على شكل قائمة الرفوف. والثالث : على شكل كشاف موضوعى يحلل محتويات الكتب. والرابع : كشاف هجائى للثالث. والخامس : قائمة بالكتب الممنوعة من التداول بسبب تقادمها أو حالتها المادية. كما اقترح علامة رف تتكون من حرف للدلالة على الحجم واللون والموضوع. وقد تم تمثيل الحجم واللون عن طريق الإختصارات. وأما الموضوع فقد تم تمثيله بالحروف السبعة عشر الأولى من الألفبائية[1].

أما الإضافة الثالثة فى هذا القرن فقد توفر عليها أندرو مونسيل، وهو بائع كتب من لندن، قام فى سنة ١٥٩٥ بجمع ببليوجرافية بالكتب المنشورة بالإنجليزية، وقد

(1) Norris, D. M. Ibid p. 135-136.

استخدم طرقاً جديدة فى فهرسه حيث تم ولأول مرة ترتيب قاموسى فى هجاء واحد بأسماء المؤلفين ـ ومداخل إضافية محدودة بأسماء المترجمين ـ ورؤوس الموضوعات. ومداخل الأسماء رتبت بأسماء العائلات أكثر مما رتبت بالأسماء الأولى، أما الكتب مجهولة المؤلف فقد أدخلت تحت العنوان أو الموضوع وأحياناً بالاثنين معاً لتسهيل الوصول. وعندما استخدم مدخل الموضوع فقد استخدم كإحالة «انظر» إلى المدخل الرئيسى. وهذا المنهج الجديد اتبع فى فهارس المكتبات بعد ذلك، وأكثر من هذا فقد أفاد فى تمييز المدخل الرئيسى. وقد رتبت الكتب المقدسة Bibles تحت كلمة واحدة هى Bible لتسهيل تحديد مكانها، ومن المؤكد أنه كان لذلك تأثيره فيما بعد على توحيد شكل المداخل. ولقد أعطيت بيانات وصف كاملة عن كل مدخل، وهو ما كنا نفتقده فى القرون السابقة، إذ كان يقدم اسم المؤلف، اسم المترجم ـ إذا وجد ـ اسم الطابع كاملاً أو اسم بائع الكتب، تاريخ الطبع، والشكل المادى للكتاب (القطع).

وهكذا نرى أن القرن السادس عشر قد شهد تطورات حقيقية واسعة فى مجال التنظيم الببليوجرافى عن طريق عملين كبيرين جاءا من خارج المكتبة. وكان فهرسا المكتبتين اللذين سقناهما على درجة كبيرة من الأهمية إذ اشتملا على بعض الأفكار التى وردت فيما بعد فى أعمال ترفلروس وجزنر ومونسيل. فقد ألح كل من جزنر وترفلروس على ضرورة وجود مداخل إضافية عن طريق الكشافات المختلفة. وكان لأسلوب مونسيل المباشر والبسيط فى حل مشكلة المدخل والترتيب والأعمال مجهولة المؤلف واكتمال عناصر الوصف، أكبر الأثر فى تقانين الفهرسة الوصفية التى أعدت فى القرون التالية.

أما عن الفهارس العربية فى هذا القرن فلم يصلنا منها سوى نماذج قليلة لاتساعد على الخروج بمؤشرات عامة ففى وثيقة توفر الدكتور عبد اللطيف ابراهيم على نشرها فى كتابه «دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية» ترجع إلى

١٨صفر٩١٩هـ نصادف فهرساً لمكتبة خاصة أوقفها صاحبها على بن سليمان الإبشارى المالكى الأنصارى الأزهرى يبدأ الفهرس من السطر الثانى والعشرين، حتى السطر الثالث والستين من الوثيقة. ومن هذا الفهرس يمكن أن نخرج بالمؤشرات الآتية :

(أ) أن وظيفة الجرد (الحصر) ماتزال تسيطر على الفهرس العربى فى هذا القرن ولم تتطور عن القرون السابقة ومن ثم فليس هناك رابط بين الكتاب وبين مكانه فى المكتبة.

(ب) ليس هناك طريقة واضحة فى ترتيب الكتب إذ جرى سرد الكتب كيفما اتفق وإن كان هناك حرص على ذكر المصاحف وتفسير القرآن وعلومه ثم كتب الحديث أولاً..

(جـ) أن المعلومات الببليوجرافية عن كل كتاب مبتورة وسريعة وغير منتظمة وغير موحدة. فأحياناً يذكر عنوان الكتاب أولاً ثم اسم مؤلفه ومجلداته وأحياناً لا يذكر اسم المؤلف. وأحياناً لا يذكر عدد المجلدات على وجه التحديد بل يكتفى بعبارة «مجلدات عدة».

(د) كان الفهرس أحياناً يذكر عدد النسخ.

(هـ) كان الفهرس أحياناً قليلة يصف الحالة المادية للكتاب وتجليده، مثل «مصحف شريف حمايلى بجلد أحمر»، «والسيرة للإمام الكلاعى مجلد كبير».

(و) فى كثير من الأحيان لايذكر من عنوان الكتاب إلا الحد الأدنى من ألفاظه مما يكفى بالكاد للتعرف عليه.

(ز) لاحظ الدكتور عبد اللطيف إبراهيم أن بعض الكتب كان يتكرر ذكرها مثل كتاب «القدورى» فقد ورد ذكره فى السطر ٣٨ «والقدورى حمايلى مجلد

ـ والسطر ٤١» والقدورى كبير[١]. مما يؤكد اضطراب هذا الفهرس ويؤكد ما ذهبنا إليه من استمرار فكرة وظيفة الحصر مجرد الحصر والجرد فى فهارس هذا القرن وليس كونه أداة للبحث.

مثال من سطر ٥٠ فى الوثيقة (ومجموع اللمع والجرومية وما معهم [هكذا فى الأصل] مجلد وشرح الهداية فى الحكم مجلد والجزء الأول من إيجاز البيان مجلد ومجموع عقايد مجلد...).

ومع ختام هذا القرن أصبح من الواضح ضرورة التوحيد والمنهجية فى الفهارس والفهرسة، وهو ما سنلمسه فى القرون التالية.

عصر قائمة الإيجاد وتحديد المكان

القرن السابع عشر :

افتقر فجر القرن السابع عشر إلى الرؤية الواضحة لوظائف الفهرسة وطبيعتها. فقد كانت الأفكار المألوفة تصر على ترتيب الرفوف لأسباب إدارية أكثر منها خدمة للقراء، وشاع تصنيف الفهارس بالحجم أو بالموضوع على حد سواء. وترسخت فكرة قائمة الإيجاد عن طريق كشافات المؤلفين التى استخدمت على نطاق واسع. وبقى الفهرس المخطوط فى الاستعمال. بينما انتشرت القوائم الجديدة على نطاق واسع حيثما اتضحت الحاجة إليها.

واستمر عدد المكتبات فى الزيادة، بينما لم تتطور طرق الفهرسة إلا بقدر يسير رغم الإتجاه إلى التقنين فى الربع الأول من القرن[٢]. إن الخيط الرفيع بين طرق

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم : دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية. القاهرة. د.ن. ١٩٦٢ . البحث الثانى.

(2) Jayne, S. : Library Catalogues of the English renaissance. Berkeley, Un. of California Press, 1956. p. 37.

العصور الوسطى وطرق العصر الحديث فى الفهرسة يمكن تلمسه فى التعليمات الثمينة التى قدمها كل من نوديه Naude ، ديرى Dury وبيليه Baillet وفهرس المكتبة البودلية لسنة ١٦٢٠ ، ذلك أن جهود كل من توماس جيمس وتوماس بودلى قد أدت إلى فهرس رتب بأسماء الشهرة لدى المؤلفين وبالكلمات الدالة فى الكتب مجهولة المؤلف، وقد برزت إلى الوجود وظيفة الفهرس، على الرغم من أنها كانت بطريقة غير مقصودة. واستمر الببليوجرافيون فى استخدام المداخل التى رأوها مناسبة للطلاب والدارسين.

ولعل فهارس المكتبة البودلية هى أهم علامات القرن السابع عشر وكان لها تأثيرها المباشر والعميق على إجراءات الفهرسة التى تلت. فقد كانت الشخصية الرئيسية وراء إعادة تنظيم مكتبة جامعة اكسفورد هو السير توماس بودلى، وهو دبلوماسى انجليزى كان على المعاش، ساند جهود الفهرسة التى كان يقوم بها توماس جيمس أول أمين مكتبة بها، وكان الفهرس الأول لسنة ١٦٠٥ عبارة عن قائمة رفوف للكتب المطبوعة والمخطوطات. وكان ترتيبها طبق الأصل على النحو المعمول به فى القرن السادس عشر مع تجميعات بالتخصصات الأربعة العلمية الموجودة وهى : اللاهوت، والطب، والقانون، والآداب، وقد أدى الحجم إلى عزل الكتب عن بعضها فالقطع الكبير ربط إلى قمطرات القراءة أما قطع الربع والثمن فقد أودع فى خزانات خاصة بعيداً عن الاستعمال. وقد رتبت المفردات داخل كل موضوع هجائية بأسماء المؤلفين حين تعرف، أما الكتب مجهولة المؤلف والأسماء المستعارة فقد رتبت تحت أهم كلمة فى العنوان، أو تحت أول كلمة إذا لم يكن ثمة كلمة هامة. وكانت المداخل مكتملة على نحو من الأنحاء، فكان اسم المؤلف بوضعه الطبيعى ثم العنوان، ومكان الطبع، والتاريخ، والحجم، ومكان الكتاب فى المكتبة، ولكن كان ينقصه رقم الطبعة. وقد ألحق بالفهرس الرئيسى كشاف هجائى بأسماء المؤلفين وقوائم بأسماء الشراح والمعلقين. وكان الهدف الرئيسى أن تطبع المحتويات الخاصة

بكل رف على صفحة واحدة، بحيث يضاف إليها صفحات أخرى بعد ذلك عندما تزداد وتنمو محتويات هذا الرف[1].

وفى سنة ١٦١٣ أعد فهرس هجائى بأسماء المؤلفين ظل مخطوطاً ولم يطبع أبداً بل استخدم كأساس فى الفهرس الثانى (لسنة ١٦٢٠).

وكان فهرس سنة ١٦٢٠ حجر زاوية فى ترتيب الفهارس، حيث استخدم اسم العائلة فى الترتيب مع بقاء الاسم الأول كما هو فى وضعه الطبيعى، وقد أدخلت الأعمال مجهولة المؤلف تحت الكلمة الأولى أو الكلمة الأهم من العنوان. وكان هذا فى الواقع هو أول فهرس قاموسى فى العصر الحديث دون الاستفادة من رؤوس الموضوعات فيه (قاموسى بالمؤلف والعنوان فقط) والفكرة هنا ـ كما كانت فى الفهارس المتقدمة ـ هى إعطاء مدخل واحد لكل كتاب مع اعتبار المؤلف المدخل الطبيعى للكتاب. وكانت الأعمال مجهولة المؤلف تسبب بعض المشاكل فى الفهارس المتقدمة، فقد كانت مداخلها تعد تحت العنوان أو تحت رأس موضوع مصطنع أو تحت أهم كلمة فى العنوان. وقد استفاد هذا الفهرس من تلك الطريقة الأخيرة، ليس فى تغطية موضوعية منهجية ولكن كمحاولة للتعرف على الكتب مجهولة المؤلف عن طريق كلمة دالة، كلمة موضوع أو شكل يمكن لمستخدم الفهرس أن يتذكرها. ولم تكن عناوين الكتب الأوربية القديمة فريدة تفيد فى تمييز الكتب عن بعضها كما كان الحال فى الكتب العربية، بل إنه فى ذلك الوقت كانت قيمة العنوان مشكوك فيها. وكانت الكلمات الدالة تبدو أكثر منطقية فى تغطية هذا النقص فى قوائم المؤلفين، وفى تجميع المواد المتشابهة الموضوع أو الشكل بدلاً من بعثرتها تحت العنوان. وقامت فهارس أخرى بفصل أسماء المؤلفين عن عناوين الكتب. وكانت الكتب المتعددة المؤلفين تدخل تحت كل اسم مع استخدام نوع من الاحالات للربط بينها. وكانت الكتب ذات الأسماء المستعارة والأحرف تعتبر فى حكم مجهولة المؤلف.

(1) Norris, D. M. Ibid. pp. 142-147.

أما فهرس القرن فهو فهرس المكتبة البودلية (فهرس بودلى) الذى صدر سنة ١٦٧٤ بإشراف توماس هايد، وقد حافظ هذا الفهرس على الترتيب الهجائى بأسماء المؤلفين، مع عناوين بالكلمات الدالة للكتب مجهولة المؤلف، مع شئ من التجميع لكتب الأدب. والأهم من ذلك هو أن المقدمة قد تضمنت عدداً من القواعد الخاصة بالفهرسة وهى أخطر تجديد فى إجراءات الفهرسة ظهر حتى منتصف القرن التاسع عشر.

حقاً لقد اتبعت قواعد كثيرة منها فى الطبعة السابقة من نفس الفهرس، ولكن فى الطبعة الحالية كانت هناك ثلاثة أفكار وراء المدخل الرئيسى فيه. الأولى : اختيار صيغة واحدة لتستخدم فى اسم المؤلف داخل الفهرس، والثانية : اتخاد اسم اصطناعى للكتاب مجهول المؤلف مع استخدام الإحالات اللازمة، وكانت المترجمات توضع تحت اسم المؤلف الأصلى، والثالثة : الكتب مجهولة المؤلف كانت تدخل بطريقة من أربع :

١ـ تحت رؤوس شكلية للأعمال كثيرة الاستخدام.

٢ـ تحت مكان النشر أو الطبعة للأعمال قليلة الاستخدام.

٣ـ تحت رأس «تراجم».

٤ـ تحت أبرز كلمة من العنوان أو أبرز كلمة تدل على الموضوع[1]. ويعتبر الاعتراف بـ وتجميع الصيغ المختلفة لاسم المؤلف الواحد تحت شكل واحد للاسم أول قاعدة فى الفهرسة الحديثة بلاشك.

أما فهرس مكتبة يوملى الذى توفر على إعداده أنطونى الكوك سنة ١٦٠٩، فهو فهرس مكتبة خاصة، مكتبة شخصية، وهو فهرس مصنف بـ٢٥٠٠ كتاب مطبوع

(1) Norris, D.M. Ibid p. 151.

و٤٠٠ مخطوط وزعت على ثمانية فروع للمعرفة تبدأ باللاهوت وتنتهى بالموسيقى وقد زود بكشاف هجائى بأسماء المؤلفين[١].

ولقد كان فهرس مكتبة كلية سيون Sion College لسنة ١٦٥٠ واحداً من أوائل الفهارس القاموسية التى انتظمت أسماء المؤلفين والموضوعات فى ترتيب هجائى واحد. وقد طبعت رؤوس الموضوعات وأسماء الشهرة للمؤلفين بالحروف المائلة Italics ووضعت لأول مرة الحروف الإرشادية فى أعلى الأعمدة فى الصفحة مع علامة المكان التى تبين مكان الكتاب على رفوف المكتبة. وكان الإجراء السائد فى هذا الفهرس هو المدخل الواحد للكتاب الواحد، وهو باسم المؤلف أو رأس الموضوع فى حالة الكتب مجهولة المؤلف على النحو المعمول به فى فهرس بودلى لسنة ١٦٢٠[٢].

وبالإضافة إلى الفهارس التى أشرنا إليها، تأثرت الفهرسة فى ذلك القرن بأفكار خمسة من المؤلفين الكبار، فقد قدم جابرييل نوديه لمحات ذكية تتعلق بالفهرسة فى كتابه «تعليمات لإنشاء مكتبة...» الذى نشر لأول مرة سنة ١٦٦١ وترجم إلى الإنجليزية سنة ١٩٠٣. فقد أكد على أهمية الفهرس فى المكتبة واقترح وجود فهرسين الأول مصنف (الأخلاق، العلوم، اللاهوت، الطبيعة، القانون، الرياضيات، الإنسانيات...) مع تفريعات من تلك الأقسام العامة. والثانى فهرس هجائى بأسماء المؤلفين. أما جون ديرى رجل الدين ثم أمين المكتبة الملكية فقد نشر فى سنة ١٦٥٠ بإنجلترا نشرة صغيرة تتعلق بعلم المكتبات، وأصر فيها على أهمية الفهرس كوسيلة لتعريف القراء بما تحويه من كتب، وقد نصح بأن يكون هذا الفهرس مصنفاً أولاً ثم باللغات ثانياً. كما نصح بأن يكون الحيز على الرفوف وفى الفهرس المطبوع بحيث يسمح باستيعاب الزيادة التى تطرأ على مقتنيات المكتبة، كما يجب أن يكون هناك

(1) Jayne, S. Ibid p. 140.

(2) Norris. D. M. Ibid. p. 163.

رابط بين الكتاب فى الفهرس والكتاب على الرف. وتحدث عن الفهرس المطبوع فى تلك النشرة كما لو كان أمراً شائعاً فى ذلك الوقت، ودعا إلى إصدار ملاحق سنوية للاستخدام داخل المكتبة «ولأولئك الذين هم خارج القطر». وفى تلك النشرة الطريفة دعا إلى التزويد عن طريق تبادل المطبوعات وأخذ رأى أعضاء هيئة التدريس فى اختيار الكتب وفى الفهرسة، والفهرسة الاختيارية للمواد المشكوك فى قيمتها واستخدام فهارس هجائية بالمؤلفين مع حواشى عن الموضوعات(١). وكان ترفلروس فى سنة ١٥٦٠ قد اقترح قائمة مماثلة ولكن فيما يتعلق بالكتب محدودة التداول أو الممزقة على النحو الذى مر بنا من قبل.

أما أوريان باريليه أمين المكتبة والمدرس الفرنسى فقد قدم إضافتين هامتين فى مجال الفهرسة، الأولى : إعداد فهرس لمكتبة شريتيان فرانسوا دى لاموانون Chretien-Francois de Lamoignon بكشاف موضوعى (هجائى برؤوس الموضوعات) والثانية : وضع مجموعة من القواعد خاصة بالمداخل المتعددة- Multi entry والفهرس الهجائى (بالموضوعات والعناوين للأعمال مجهولة المؤلف) وكان دائماً يدافع عن استخدام موضوعات واسعة على الرفوف تقسم بعد ذلك زمنياً أو جغرافياً أو موضوعات أصغر، كما دعا إلى إستخدام شبكة واسعة من الإحالات، محبذاً الاتجاه التقليدى نحو توحيد المدخل. كما شجع على أن يكون الكشاف الموضوعى هو مفتاح المجموعة. كذلك أكد الحاجة إلى كشاف هجائى بأسماء الشهرة للمؤلفين، وفرق بين مداخل الأشخاص كمؤلفين وكموضوعات. وعلى العموم فإن قواعده قد أكدت على قيمة الفهرس كأداة لتحديد مكان الكتاب فى المكتبة(٢).

(1) Dury, J. "The reformed library keeper or two copies concerning the place of the library keeper. 1649.

(2) Verner, M. : "Adrian Baillet (1949 - 1706) and his Rules for an alphabttical subject catalog" Library Quarterly, Vol 38, July, 1968. pp 217-230.

وقرب نهاية القرن ظهر مطبوع آخر هام عن كيفية إعداد فهرس المكتبة، كان مؤلفه جامع كتب دانمركى يدعى فردريك دى روستجارد Frederic de Rostgaard وكانت دعوته إلى ترتيب الفهرس معقدة إلى حد ما فقد جعل صفحة الفهرس مقسمة إلى عمودين ترتب المداخل فى كل عمود مرة بالحجم ومرة ترتيباً زمنياً مع رقم الطلب (رقم تسجيل الكتاب فى المكتبة) وحرف يدل على موضوع الكتاب، وهكذا أتاح الفرصة لمداخل متعددة إلى الكتب بالمكتبة كما ضمن مطبوعه مجموعة من التعليمات الخاصة بالكشاف الهجائى بالمطبوعات والمؤلفين ترتب باسم العائلة مع الإحالة إلى حجم الكتاب ورقم التسجيل والموضوع.

لقد كان القرن السابع عشر أحد قرون التطور والتجريب والتعبير، واجتياز الفهرس مرحلة قائمة الحصر إلى مرحلة قائمة الإيجاد وتحديد المكان ولكنه كان مايزال مفتقراً إلى وجود الأسس العامة المقبولة من الجميع رغم وجود بعض الأدلة التى قدمت محاولات منهجية فى إعداد الفهارس وأصبحت الاحالات فى هذا القرن مسألة مقبولة وإجراء مقرراً، بل وأكثر من هذا استخدمت المداخل التحليلية خاصة فى الفهارس الهجائية بالموضوعات على النحو الذى اقترحه بيليه Baillet . وأصبح بيان النشر أمراً مقرراً فى بيانات الفهرسة على الرغم من اقتصاره على المكان والتاريخ فحسب، كما قنن الترتيب الموضوعى ونقى أكثر بسبب نشر تصنيف بيكون للمعرفة البشرية.

والتصنيف الذى استخدم لعدة قرون فى فهارس المكتبات، جاء نتيجة لترتيب الرفوف وليس بدافع إيجاد فهرس مصنف يكون بمثابة دليل منهجى إلى مجموعات المكتبة. وقد استمر التصنيف يلعب دوراً أساسياً مع تقدم المعرفة البشرية، وتقدم تنظيمها. ولقد تعرضت قيمة الكشافات الموضوعية وكشافات المؤلفين لمناقشات مستفيضة من جانب المنظرين فى ذلك القرن ومع هذا استمرت كعامل رابط أكثر منها جزءاً أساسياً فى الفهارس. وكان لاستخدام الكلمات الدالة فى عناوين الأعمال

مجهولة المؤلف أثر فى إيجاد البعد الموضوعى فى الفهرس، تطورت فيما بعد إلى حقيقة مقصودة لذاتها. وحل استخدام اسم الشهرة كمدخل محل الاسم الأول وهو النظام القديم، رغم بقاء ذيول لذلك الإجراء القديم وكانت قضية ترتيب المداخل من القضايا المتأرجحة ذات العديد من الاحتمالات والاتجاهات. وعلى سبيل المثال فإن فهرس مكتبة مدينة نورويتش Norwich City ١٦٥٨_١٨٨٣ يصور التأرجح بين أنواع مختلفة من الترتيب، فالفهرس المبدئى كان يتبع الترتيب الموضوعى ثم انتقل إلى الترتيب بالمؤلف فى القرن الثامن عشر ثم لم يلبث بعد ذلك أن طبق الترتيب باللغة والحجم وأخيراً رجع مرة أخرى إلى الترتيب بأسماء المؤلفين فى القرن التاسع عشر(١).

وبالإضافة إلى قضية الترتيب كانت هناك مسألة استخدام اللغة الأصلية للكتاب فى العنوان، وتحليل ومعالجة الكتب المركبة، مشكلة ذكر الحجم، ذكر الطابع مع التاريخ والمكان وتمييز الطبعة الأولى أو الطبعة الأحسن، جمع الطبعات المختلفة للمؤلف الواحد معا فى ترتيب زمنى، وتمييز قيمة الكتاب، كانت هذه كلها مسائل ومشكلات واجهت المفهرس فى ذلك القرن على النحو الذى ذكره همفرى وانلى الأمين المساعد فى مكتبة بودلى(٢) وكان الأمر لا يفتأ يحل بعض المشكلات حتى تستجد مشكلات أخرى بسبب تقدم الحياة الفكرية واستاع المجتمع، ومازالت المسألة مطروحة حتى اليوم. ولكن ذلك القرن قد شهد تطور عملية الفهرسة وهى تنتقل ببطء من التقانين الفجة البدائية إلى محاولات نظرية ومنهجية أكثر نضجاً فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

القرن الثامن عشر :

كان القرن الثامن عشر فترة ثبات أكثر منه فترة تجديد فرغم أنه شهد توسعاً فى

(1) Norris, D. M. Ibid p. 168.

(2) Ibid p. 152.

عدد المكتبات الجامعية والخاصة بل وعدد من مكتبات البلديات إلا أن طرق التنظيم لم تتطور إلا تطوراً طفيفاً، ويمثل التقنين الفرنسى الصادر سنة ١٧٩١ ـ أول تقنين وطنى ـ أهم إضافة فى ذلك القرن، وأهم اتجاه لبلورة إجراءات الفهرسة. وظل ترتيب الفهرس بالموضوع أو الحجم هو السائد مع مدخل إضافى بالمؤلف وهو الأمر الذى استقر منذ فهرس بودلى ١٦٢٠. وكان انتشار الأفكار الجديدة بطيئاً، إذ أن كل مكتبة فى إعدادها لفهرسها كانت محكومة بظروف واتجاهات محلياً بحتة. ولقد أصبح الفهرس المطبوع الذى شاع بعد القرن السابع عشر وسيلة هامة لنشر النماذج وتداولها. بين المكتبات والببليوجرافيين.

ولقد اختفت بالتدريج فكرة قائمة الحصر أو قائمة الرفوف وحلت محلها فكرة «الفهرس» رغم أن الكتب على الرفوف كانت هى محور الإهتمام وليس عملية تكشيف المعرفة الإنسانية فى حد ذاتها. وشهد هذا القرن بعض طرق تصنيف تجاوزت التقسيمات البسيطة فى القرون السابقة وتوسعت أكثر فى عملية التفريع سواء فى الشعب الأساسية أو أقسامها الفرعية. فقد استغلت شركة مكتبة فيلادلفيا سنة ١٧٨٩ اقتراح نوديه وبيليه وديرى تقسيم المعرفة إلى ثلاثة أقسام كبرى وواحد وثلاثين شعبة تحتها قسمت بعد ذلك حسب الحجم. وكانت فكرة الترتيب الصناعى بالحجم قد استخدمت من حين لآخر فى القرنين السابع عشر والثامن عشر تبعاً لمقترحات كل من جزنر وروستجارد. وكانت تناسب ترتيب الرفوف. ومازال الترتيب بالحجم المعمول به حتى يومنا هذا كترتيب جانبى على الرفوف وخاصة فى مكتبات التخزين التى تعترف بقيمته وقيمة الترتيب برقم الورود.

وكانت زيـادة البيانات فى المداخل واضحة فى فهرس مكتبة الأصدقاء Friends Library الصادر فى سنة ١٧٠٨ الذى أضاف مكان الميلاد ومكان الإقامة، تاريخ ومكان الوفاة، بيانات الطبعة وعدد الملازم أو الأفرخ فى الكتاب، على الرغم من أن

الفهرس كان فهرساً أولياً رتب هجائياً بأسماء الشهرة للمؤلفين وقليل من رؤوس الموضوعات وأقسام الشكل والعنوان للكتب مجهولة المؤلف(١).

هذا ولقد استمر فهرس بودلى الرابع لسنة ١٧٣٨ فى الترتيب الهجائى بالمؤلف والكلمات الدالة فى عناوين الكتب مجهولة المؤلف، مع ترتيب فرعى زمنياً، وكانت إضافة اسم الطابع فى الفهرس دلالة على أن إحدى المشكلات التى أثارها وانلى قد حلت.

أما فهرس مكتبة كلية سيون فقد ترك الترتيب الهجائى المتبع فى طبعة ١٦٥٠ وأعيد طبعه فى سنة ١٧٢٤ مصنفاً. وكان نظام التصنيف شبيهاً بالأنظمة المعاصرة آنذاك حيث كان عبارة عن حروف تمثل ليس بالضرورة موضوعات بقدر ما تمثل مكان وجود الكتاب ومحتوياته.

ولقد أشار معدو الفهارس فى بعض المواضع إلى أن ترتيب الفهرس حسب ترتيب الرفوف كان يساعد كثيراً فى العثور على الكتب المفقودة فى غير أماكنها(٢). وهذا السبب كان يبدو معقولاً فى ذلك الوقت وانعكس على لوائح المكتبات فى بريطانيا العظمى فيما بعد وعلى بعض الفهارس الأمريكية مثل فهرس مكتبة كلية هارفارد سنة ١٧٢٣.

لقد حاول فهرس شيتهام لسنة ١٧٩١ أن يحقق ترتيباً «منطقياً وعلمياً» تحت أقسام اللاهوت، القانون، التاريخ، العلوم، الفنون والآداب والتى يمكن أن تفرع بدورها كلما دعت الحاجة. بيد أن الافتقار إلى كشاف قد عطل استخدامه حتى سنة ١٨٢٦، حين أعد كشاف هجائى بأسماء المولفين وعناوين الكتب مجهولة المؤلف(٣).

(1) Norris, D. M. Ibid pp. 181 - 184.

(2) Ibid p. 188.

(3) Ibid pp. 193-195.

لقد كان لكلية هارفارد فضل السبق فى إصدار أول فهرس مطبوع فى أمريكا سنة ١٧٢٣ . وقد عبر الفهرس عن هدفه بأنه ليس للاستخدام الداخلى فى المكتبة وإنما لاستخدام «الزملاء فى الخارج» . وهذا الفهرس فى الواقع كان أداة حصر وقد رتب بالحجم مع ترتيب فرعى بالمؤلف والكلمات الدالة للأعمال مجهولة المؤلف. على الرغم من أن الطبعات التالية استخدمت الترتيب الهجائى أساساً للترتيب.

وبعد عشرين سنة فى ١٧٤٣ أخرجت كلية ييل فهرساً ممتازاً يتألف من ثلاثة أجزاء : قائمة رفوف مخطوطة؛ قائمة هجائية بأسماء المؤلفين، دليل مصنف أو كشاف لقراءات الطلاب، يضم حوالى ٢٣ قسماً أساساً مع تفريعات تحت كل قسم. وبعض الكتب كانت تدرج تحت خمسة أقسام أحياناً بسبب محتويات الكتاب(١).

وبصفة عامة كانت الفهارس الأمريكية فى القرن الثامن عشر تفضل الترتيب بالحجم أو المؤلف أو مزيج منهما على الترتيب بالموضوع، فقد وصلنا ٢٤ فهرساً من بينها ثلاثة فقط مرتبة بالموضوعات، منها فهرس مكتبة شركة فيلادليفا لسنة ١٧٨٩ بأقسامه الثلاثة وفروعها الواحد والثلاثين والتى أدرجت الكتب تحتها بالحجم، وفهرس مكتبة هارفارد لسنة ١٧٩٠ بأقسامه الأربعة والستين والتى رتبت الكتب تحتها بالمؤلف. ولم يكن استخدام الكشاف فى الفهارس الأمريكية معترفاً بأهميته. والاستثناءات هنا قليلة مثل فهرس مكتبة شركة اتحاد فيلادلفيا لسنة ١٧٦٥ وشركة مكتبة فيلادلفيا لسنة ١٧٧٠ اللذين نصادف فيهما مداخل تحت الكلمة الدالة من العنوان بالإضافة إلى مدخل المؤلف(٢). وقد أصبحت فيما بعد إجراء مقبولاً ومألوفاً. وكانت البيانات الببليوجرافية فى الفهارس الأمريكية تشبه إلى حد بعيد نظيرتها فى الفهارس البريطانية.

(1) Ranz, J. : The printed book Catalogue in American Libraries' 1723- 1900. Chicago, A. L. A. 1964. p 10.

(2) Ibid. pp. 8-9.

ورغم التجديدات الفريدة التى أشرنا إليها فى الفهارس الأمريكية، فإن تلك الفهارس بصفة عامة كانت عبارة عن قوائم حصر أو كشاف مرتب فى ترتيب أحادى بمدخل واحد للكتاب الواحد فى الأعم الأغلب.

وفى نهاية القرن صادرت الثورة الفرنسية عدداً كبيراً من الكتب المطبوعة والمخطوطة من المكتبات الحكومية والخاصة، وقد أدى هذا إلى إصدار تقنين سنة ١٧٩١ لتقديم طريقة مبسطة وشاملة لتنظيم تلك المجموعات بدءاً من جمع وترقيم الكتب وتسجيلها على بطاقات وإرسالها إلى باريس. وكانت بطاقات «كورق اللعب» أو جزازات قد اقترحت كشكل لتسجيل تلك الكتب وهى أول إشارة إلى ذلك الشكل من أشكال الفهارس فى أى تقنين للفهرسة. ولقد تضمن التقنين الكامل : رقم التسجيل، العنوان كما ورد بالضبط على الكتاب إلا إذا كان طويلاً جداً، بيان النشر (المكان، الطابع، التاريخ). الحجم وأية ملامح أخرى غير عادية. وكان اسم المؤلف كما يظهر على صفحة العنوان أو أى موضع آخر فى الكتاب، أو الكلمة البارزة الدالة على الموضوع فى حالة الكتب مجهولة المؤلف يوضع تحته خط للتأكيد على الأهمية. بعد هذا كانت البطاقات ترتب هجائياً فيما بينها وتربط جيداً بخيط. وكان اسم الأبرشية أو المنطقة يسجل فى أسفل البطاقة. وكانت تعد نسخة أخرى على ورق عادى لتبقى داخل المنطقة للدلالة على الكتب التى أخرجت منها، وكانت البطاقات ترسل إلى باريس. ولقد قيل فى سنة ١٧٩٤ أن حوالى مليون بطاقة قد أعدت لما يقرب من ثلاثة ملايين مجلد.

لقد شهدت نهاية القرن عدة تجديدات قليلة فى إجراءات الفهرسة فقد ساد الترتيب بالمؤلف والحجم أو الموضوع أو مزيج من إثنين منهما مع الميل إلى تفضيل المولف والحجم. وكان الترتيب الفرعى تحت اسم المؤلف زمنياً أكثر من الترتيب بالعنوان وذلك تبعاً لحجم المجموعة. وكان اكتمال عناصر الوصف يتفاوت حيث كان فهرس «مكتبة الأصدقاء» هو أول فهرس يستخدم عدد الملازم، واستمرت

المداخل التكميلية فى الشيوع والانتشار كما يتضح ذلك من فهرس كلية ييل لسنة ١٧٤٣، وفى فهارس مكتبتى جمعيتى فيلادلفيا لسنتى ١٧٦٥، ١٧٧٠ على التوالى، وأصبح قلب اسم المؤلف فى هذا القرن حقيقة راسخة رغم استخدام الاسم بشكله الطبيعى فى بعض المكتبات المحافظة.

أما عن الفهارس العربية فى هذا القرن فإن ما وصلنا منها لا يمكننا من تكوين أسس عامة عنها. ففى وثيقة نشرها الدكتور عبد اللطيف إبراهيم فى كتابه «دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية» نجد فهرساً لمكتبة مسجد أوقفها الأمير محمد بك أبو الذهب وقد بلغت الكتب فى هذه المكتبة قرابة ستمائة وخمسين كتاباً[١] وهذا الفهرس أفضل من الفهارس التى سبقته. ومن دراستنا لهذا الفرس يمكن الخروج بالمؤشرات الآتية :

١ـ أن هذا الفهرس مصنف برؤوس موضوعات واسعة وصلت إلى ثلاثين على النحو التالى : القرآن الكريم ـ علم التفسير ـ تفسير غريب القرآن ـ الحواشى على تفسير القرآن ـ علم القراءات ـ علم الحديث ـ شروح على كتب الحديث ـ الحواشى على كتب الحديث ـ علم الفقه الحنفى ـ كتب الفقه الشافعى ـ فتاوى الفقه الشافعى ـ شروح كتب الشافعية وحواشيها ـ كتب فقه المالكية ـ شروح كتب فقه المالكية ـ كتب مذهب الحنابلة ـ كتب النحو ـ حواشى كتب النحو ـ علم المعانى ـ شروح كتب المعانى ـ علم المنطق شروحاً وحواشى ـ علم الصرف ـ علم اللغة ـ علم التوحيد ـ علم الفرائض ـ علم الحساب والجبر والمقابلة ـ كتب التواريخ ـ كتب الآداب.

هذا ورغم أن رؤوس الموضوعات لا تبدأ فى سطر مستقل إلا أن المفهرس قد وضع لنا خطاً فوق رأس الموضوع ونجمة ثم يسرد الكتب بعده بدون ترتيب معين.

(١) عبد اللطيف إبراهيم. المصدر السابق. البحث الخامس ص ١٧ وما بعدها.

٢ـ أن روح قائمة الجرد ماتزال مسيطرة هنا إذ لايذكر من بيانات الوصف سوى عنوان الكتاب مختصراً ثم اسم المؤلف على الشهرة غير كامل ثم عدد النسخ وعدد الأجزاء.

٣ـ أن هناك نوعاً من التوحيد فى ترتيب بيانات الوصف على النحو السابق، فى كل الكتب تقريباً.

٤ـ أحياناً كان يكتفى بذكر اسم المؤلف عوضاً عن عنوان الكتاب أو يكتفى بذكر عنوان الكتاب عوضاً عن اسم المؤلف.

٥ـ هذا الفهرس على شكل كتاب ويحتل الصفحات من ص ٧٣ حتى ص١٠٠ من الوثيقة.

٦ـ أن هذا الفهرس كسابقيه يخلو من علامات الترقيم تماماً.

٧ـ لاحظ الدكتور عبد اللطيف إبراهيم أن المفهرس قد وضع كتباً تحت موضوعات لا علاقة لها بها. كذلك لاحظ أن المفهرس فى حالة عدم تمكنه من وضع كتاب ما تحت موضوعه المضبوط لقصور فى خطة التصنيف المذكورة كان يضع الكتاب فى أقرب الموضوعات إليه(١).

٨ـ كذلك لاحظ سعادته أن التصنيف الذى اتبع فى هذا الفهرس كان له أثره فى الفهارس التالية ومنها فهرس المكتبة الأزهرية فى القاهرة وغيرها من مكتبات المعاهد الدينية(٢).

٩ـ ليس هناك أى رابط بين الكتب فى الفهرس ومكانها فى خزانات الكتب بالمكتبة.

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥.

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٤.

يقول د. عبد اللطيف إبراهيم أن الفهرس فى المكتبة المملوكية كان عبارة عن سجل على شكل كتاب مجلد به قوائم الكتب مرتبة بعناية حسب الموضوعات أو أسماء المؤلفين أو حسب ورودها للخزانة أو المكتبة[١]، والحقيقة أنه فيما ذكر من وثائق لانجد سوى الترتيب الموضوعى غير الدقيق أما الترتيب بأسماء المؤلفين أو الورود فليس عليه دليل فى ذلك العصر.

القرن التاسع عشر :

شهد مطلع القرن التاسع عشر لمسة من لمسات قائمة الحصر القديمة. ولكن مع اعتبار الفهرس بصفة عامة قائمة إيجاد (بحث) ولكن مع الاتجاه الحديث الذى جاء من فهرس بودلى لتجميع الموضوعات المتشابهة مع بعضها فى وحدات اتجه الهدف من الفهرس إلى اتجاهين : الأول : حصر أو سرد محتويات الرفوف وهو الأمر الذى ساد فترة الأديرة، والثانى : قائمة إيجاد أو بحث وقد بدأ هذا الاتجاه بعمل كشافات المؤلفين والاعتراف بالفهرس الهجائى كما حدث فى فهرس بودلى لسنة ١٦٢٠. ويضاف إلى هذين غرض ثالث قدمته سوزان إيكرز[٢] وهو تجميع المواد المتشابهة الموضوع معاً على النحو الذى قرره فهرس بودلى وأخذ به فى سنة ١٦٧٤. ولقد قررت أيضاً أن ذلك القرن قد بدأ فى التمييز بين مداخل المؤلفين والموضوعات والعناوين مع التأكيد على مدخل رئيسى بالمؤلف وكذلك التركيز على وظيفة قائمة الإيجاد، وعمل مداخل إضافية تحدد مكان الكتاب إذا لم تحقق المداخل الرئيسية هذا الغرض.

ولقد استمر استخدام الكلمات البارزة فى العنوان طيلة هذا القرن أيضاً ولكن مع الالتزام بحرفية تلك الكلمات أكثر من الالتزام بدلالتها على موضوع الكتاب على

---

(١) نفس المصدر السابق البحث الأول ص ٥٨.

(2) Akers, Susan G. Simple library cataloging. 5th ed. Metuchen, Scarecrew Press, 1969. p. 286.

النحو الذى يقرره ا. إدواردز فى ذكرياته عن المكتبات والذى نشر فى نهاية القرن التاسع عشر. ونتيجة لذلك وللالتزام بمدخل واحد للكتاب الواحد فقد تقهقر استخدام رؤوس الموضوعات. ويقرر كتر أنه بعد إدخال مدخل العنوان للكتب مجهولة المؤلف فقد كانت الخطوة الثانية هى إعداد مداخل العنوان لكل الكتب وليس فقط للكتب مجهولة المؤلف ولكن باستخدام الكلمات الرنانة فى عنوان الكتاب مما يساعد القارئ على التعرف على الكتاب من عنوانه بسهولة[١] وغدا من الواضح أن العناوين الدالة قد اعتبرت وسيلة فرعية لتجميع المواد المتشابهة فى الموضوع معاً. وقد استخدم هذا الأسلوب ما لا يقل عن ١٩ فهرساً فى الولايات المتحدة فى الفترة من ١٨١٥ ـ ١٨٥٤[٢] ويجب أن نشير هنا إلى أن كتر قد وضع سنة ١٨٧٦ تقنيناً لمداخل المؤلف والموضوع والعنوان والشكل ورفض الفكرة التى شاعت بأن الفهرس يجب أن يقتصر على عناوين الكتب فحسب[٣].

لقد كان هذا القرن هو قرن التقنينات، فقد كان هناك على الأقل خمسة عشر تقنينا فى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وحدها، بالإضافة إلى القواعد الفردية التى اشتملت عليها الفهارس التى انتجها ذلك القرن والتى لا تقع تحت حصر. إذ وصلت الفهارس التى نشرت فى ثلاثة أرباع القرن الأولى إلى مايربو على ألف فهرس (بما فى ذلك الملاحق) فى الولايات المتحدة وحدها. وكان هذا هو قرن الفهرس المطبوع والذى استمر حتى انصرام القرن ولم يحل محله الفهرس البطاقى إلا مع مطع القرن العشرين، ولم ينتعش الفهرس المطبوع إلا فيما بعد فى النصف الثانى من قرننا العشرين.

---

(1) Cutter, C. A. : "library catalogues" **in** U. S. Bureau of Educauation. Public Libraries in the United Stated of America.. Washington, Govt. Printing office, 1876. Chapter XXVII, p. 533.

(2) Ibid p. 534.

(3) Ibid p. 571.

لقد وجه الاهتمام أساساً فى هذا القرن والسنوات الأولى من القرن العشرين نحو الفهرس الهجائى بأسماء المؤلفين والفهرس القاموسى والفهرس المصنف والفهرس الهجائى ـ المصنف. وكان الفهرس الهجائى بالمؤلفين يتألف أساساً من أسماء الشهرة للمؤلفين بينما الأعمال مجهولة المؤلف كانت تدخل بواسطة أحد الاقتراحات التى قدمت فى فهرس بودلى. وقد ظل الاتجاه نحو المدخل الواحد للكتاب الواحد سائداً على الرغم من العدول عن هذا الاتجاه أحياناً قليلة كما حدث فى فهرس شركة مكتبة اتحاد فيلادلفيا. هذا ولقد خرج الفهرس القاموسى من بطن فهرس المؤلف إذ هو ترتيب هجائى موحد لمداخل المؤلفين والعناوين والموضوعات والشكل. وأحياناً قد يستخدم اسم «الفهرس القاموسى» للدلالة على نوع واحد من المداخل رتبت هجائيا ولكن المعنى العام هو أن يشتمل الفهرس فى سياق هجائى واحد على مداخل مختلفة. والتمييز الأساسى يكمن فى ترتيب الموضوعات الدقيقة هجائيا وليس فى ترتيب مصنف.

أما الفهرس المصنف كما برز فى ذلك القرن فينصرف مفهومه إلى أن الموضوعات ترتب فيه فى ترتيب منطقى بحيث تتجمع الموضوعات المترابطة أو على الأقل تتقارب. أما الفهارس الموضوعية الهجائية فإنها تفصم عرى هذا الترابط. والادعاء بأن الفهرس المصنف قد نشأ قبل الفهرس الهجائى إدعاء خاطئ، لأنه بدون خطط التصنيف الحديثة، التى برزت فى القرنين التاسع عشر والعشرين لم يكن ممكناً إنتاج فهارس مصنفة. وليست أعمال جزنر، نوديه، ديرى ثم برنيه المبكرة سوى محاولات منهجية لتصنيف المعرفة البشرية استخدمت فى تصنيف الفهارس المكتبية. وكان لإنعدام مثل هذه التصانيف أثره فى تأخر ظهور الفهرس المصنف.

أما الفهرس الهجائى ـ المصنف الذى شاع استخدامه فى منتصف القرن التاسع عشر فقد كان مزيجاً من الفهرس المصنف والقاموسى حيث يصفه كتر بأنه

«... مقسم بموضوعات واسعة وتحت كل منها ترتب تفريعاتها فى ترتيب هجائى»[1]. وهذا التعريف محدود إلى حد ما وقام شيرا بتوسيعه ليضم طريقتين أخريين :

الأولى : ترتيب الأقسام الرئيسية نفسها هجائياً ثم ترتيب فرعياتها تحتها «بطريقة مناسبة».

والثانية : الترتيب المصنف للأقسام الرئيسية وترتيب فرعياتها تحتها هجائياً وهو هنا يتفق مع كتر[2] وقد تأثر فهرس مكتبة نيويورك العامة بهذه الفكرة رغم أنه حديثاً بدأ فى استخدام رؤوس موضوعات دقيقة.

لقد أشار كتر إلى فهرس خليط يتكون أولاً من فهرس مصنف وثانياً من فهرس قاموسى يضم مداخل المؤلفين وعناوين الكتب المجهلة ورؤوس الموضوعات والعناوين الأخرى والاحالات الموضوعية إلى الفهرس المصنف. وهذا الاتجاه شبيه بالمزيج الذى نتج عن الفهرس القاموسى وقائمة الرفوف.

وفى السنوات الأولى من القرن استمر شيوع الفهرس الهجائى رغم أن الفهرس المصنف قد بدأ يتطور باستخدام خطة تصنيف منطقية وكشافات بالمؤلفين و / أو الموضوعات. ففى سنة ١٨١٠ (الطبعة الثانية ١٨٢٠) نشر جاك شارلز برونيه Jaques - Charles Brunet ببليوجرافية مصنفة تحت عنوان "Catalogue Raisonné" لخدمة تجار الكتب وجامعيها وقد تألفت من كشاف هجائى بالمؤلفين ببيانات ببليوجرافية كاملة وألحق به فهرس مصنف مختصر البيانات بعنوان "Table en forme de catalogue raisonné" .

(1) Cutter, C. A. : Rules for a dictionary Catalog. 4th ed. Washington, Govt Printing Office, 1904. p. 13.

(2) Shera, J. H. and M. E. Egan: The classified catalog; principles and practices. Chicago. A. L. A., 1956. p. 13.

ويعتبر «فهرس الكتب المطبوعة» الذى نشرته جمعية الكتب القديمة فى لندن ١٨١٦ أول فهرس قاموسى حقيقى فقد استخدم المدخل المكرر فى السياق الهجائى الواحد بما فى ذلك الكلمات البارزة أو رأس الموضوع للأعمال المجهلة كما استخدم اسم المؤلف للأعمال معروفة المؤلفين[١]. وبعد ذلك بثمان سنوات قام روبرت وات بنشر ببليوجرافيته المعروفة Bibliotheca Britannica، مكونة من جزئين أحدهما هجائى بالمؤلفين والثانى هجائى بالموضوعات. والجديد فى هذا العمل هو عدوله عن استخدام الكلمات البارزة فى العنوان لتكوين رأس الموضوع واستخدامه صيغاً لرؤوس الموضوعات من عنده، وقد اعترف بانتزى بتأثير وات فى خططه[٢].

ومع تقدم وزيادة تحديد وظيفة الفهرس بدأت المكتبات فى استخدام الفهارس المصنفة وقد ساعدها على ذلك خطط تصنيف المعرفة البشرية التى توفر عليها كل من بيكون، هورن، برونيه وغيرهم. ولم تكن الكشافات قد اعتبرت جزءاً أساسياً ضرورياً ولم تعد فى ذلك الوقت إلا بأسماء المؤلفين فقط رغم أن فهرس "ProvidenceAthenaeum" لسنة ١٨٣٧ كان يشتمل على أسماء المحررين والمترجمين، وهكذا كانت هناك مداخل جديدة للوصول إلى الكتاب عن طريق الكشاف. وفى نفس الوقت حاول مؤيدو الترتيب الهجائى تحسين المدخل الموضوعى. وبعد فهرس "The Andover Theologicaly Seminary Catalog" الذى توفر على إعداده أ. ا. تيلور O. A. Taylor سنة ١٨٣٨ واحداً من أحسن الفهارس الهجائية فى تلك الفترة وقد بناه على الاتجاه الألمانى نحو إعداد فهرسين هجائيين منفصلين أحدهما بالمؤلف والثانى بالموضوع. وقد استطاع أن يكمل فهرس المؤلف بينما لم يكمل الفهرس الموضوعى أبداً. ولقد قام تيلور بالاستعانة بتلميذه شارلز

(1) Pettee, J.E. : Subject headings, the history and theory of the alphabetical subject approach to books. New York, Wilson, 1949 p.p. 26-27.

(2) Metcalfe, J. : Alphabetical subject indication of information. New Brunswick, Graduate school of library science, Rutgers State Univ., 1965. p. 31.

جيويت Jewett الذى قام بعمل فهرس مماثل لجامعة برون وكان الكشاف الموضوعى (الذى صدر ١٨٤٣) لفهرس المؤلف فى جامعة برون يحدم ككشاف هجائى وشبه مصنف فى نفس الوقت إذ كان يضم فى سياق واحد رؤوس الموضوعات (أو الكلمات الدالة) والموضوعات الواسعة والموضوعات الدقيقة. على الرغم من أن جيويت لم يعدل عن كلمات العنوان فى اختيار كلمة الموضوع فإنه قد تحرر إلى حد كبير من أفكار بانتزى وادواردز بحيث جاء الوقت فيما بعد الذى تحرر فيه رأس الموضوع من أسر كلمات العنوان وأصبح الطريق مفتوحاً أمام إعداد فهرس قاموسى كامل. إذ أنه بعد هذا بثلاث سنوات فقط صدر فهرس مماثل يجمع فى سياق هجائى واحـد مداخل المؤلف والعنوان وكلمة الموضوع وهو فهرس. "Linonian Society of Yale" .

وثمة شكل آخر من أشكال الفهرس الهجائى صدر فى سنة ١٨٤٤ بواسطة شركة New York Merchantile Company اشتمل على فهرس مؤلف مع كشاف هجائى مصنف، وقد قسم الكشاف إلى ٤٩ موضوعاً مرتباً هجائياً وتحت كل منها رتبت المفردات هجائياً.

لقد تميز النصف الأول من القرن التاسع عشر بتنوع تركيبات الترتيب والكشافات، وأهم فئات الفهارس هى التى رتبت أساساً بالموضوع أو مصنفة. وكانت فى أبسط أشكالها عبارة عن موضوعات واسعة أو أقسام على نمط ترتيب قوائم الرفوف، وداخل هذه الموضوعات رتبت المفردات بالرقم المسلسل أو زمنياً حسب تاريخ الطبع أو العنوان أو المؤلف. يلى هذا الأسلوب فى الفهارس : الفهارس المصنفة التى تضم أقسام المعرفة التى تفرع بدورها إلى فروع أصغر فى خطة منهجية منطقية. وكلا الأسلوبين قد اعتبرا كشافات لفهرس أساسى بالمؤلف أو العنوان أو الموضوع، ولكن وجودهما كان أساسياً لأن المكتبيين اعترفوا بضرورة وجود مداخل متعددة للعمل الواحد، وتوقف الجدل حول ما إذا كان القراء يبحثون عن الكتب أولاً

بالمؤلف أو الموضوع. وقد اعترف بصعوبة استخدام المدخل المصنف، وهذا حق، إلى أن صدرت خطط التصنيف والكشافات. ومايزال البحث فى مكانين (الكشاف أولاً ثم الجسم الرئيسى ثانياً) من المثالب التى توجه إلى الفهارس المصنفة.

أما المجموعة الثانية من الفهارس التى انتشرت فى ذلك الوقت فهى الفهارس التى اتخذت الترتيب الهجائى خطاً أول وكانت فى كثير من الأحيان كشافات لخط ثان من الترتيب المصنف ولكن التركيز كان على الترتيب الهجائى لسهولته أكثر من المدخل المصنف. وبمعنى آخر كان كلا منهما مكملاً للآخر حيث كان القسم المصنف محدود الاستعمال دون كشاف هجائى وحيث كان القسم الهجائى رديئاً لاعتماده الأساسى على ترتيب الحروف الهجائية. وكانت بعض أنماط الترتيب الهجائى الشائعة هى : قائمة موضوعات أو مزيج من الموضوع، المؤلف، العنوان مع الفهرس المصنف، قائمة موضوعات مع ترتيب المفردات تحت كل منها وكشافات بالمؤلف و / أو العنوان؛ الأقسام وتفريعاتها مرتبة هجائياً أو الأقسام مرتبة هجائياً والتفريعات مصنفة؛ وأخيراً قوائم المؤلفين مع قائمة موضوعات ملحقة بها فى ترتيب هجائى أو مصنف. ولقد برزت أنواع أخرى أكثر تعقيداً من الفهارس بعد انصرام القرن. وكما نرى فإن الحدود بين الفهارس ليست متميزة وواضحة بصورة قاطعة، وقد كان الاعتراف بقيمة وأهمية كل نمط من أنماط الترتيب هو السبب فى خلق تركيبات جديدة من الفهارس. ويعتبر دخول الفهرس القاموسى دليلاً على تأثير المكتبة العامة فى حياة المجتمع الأمريكى وكان تطوير شكل جديد للفهرس ـ نعنى الفهرس البطاقى ـ موازياً لطريقة الترتيب الجديد (القاموسية) فى النصف الثانى من نفس القرن.

فى سنة ١٨٥٣ جاء فى مقدمة فهرس مصنف جمعه ايرزا أبوت Erza Abbot لمدرسة كامبردج العليا ذكر لبعض قواعد المدخل : بالنسبة للأعمال المجهلة فإنها تدخل تحت الكلمة الأولى من العنوان إذا لم تكن أداة أو حرفاً، وتدخل الجمعيات بأسمائها، والدوريات بعناوينها والمجموعات تحت اسم المحرر.

لقد أدى استمرار استغلال الكلمات الدالة فى العنوان كمصدر للمعلومات (كرأس موضوع) إلى تطوير الفهرس القاموسى. ففى سنة ١٨٥٤ قام سامبسون لو Sampson Low بنشر كشاف عناوين : Index to the titles للفهرس البريطانى للكتب المنشورة فى سنة ١٨٥٤ : British Catalogue of books Published in 1854 وهكذا فإن الكشاف الذى نشر من قبل مصنفاً فى أربعة وثلاثين قسماً قد أعيد ترتيبه فى سياق هجائى واحد.

هذا ولقد قام فردريك بول فى ١٨٥٤ بإعداد فهرس قاموسى لمكتبة Boston Merchantile يشتمل فى سياق واحد على مداخل المؤلفين والعناوين والموضوعات.واستمر استخدام كلمات بارزة من العنوان للدلالة على الموضوع وليس رؤوس موضوعات مقصودة لذاتها. وقد اقتصر الفهرس على مدخل واحد للكتاب الواحد بقصد الاقتصاد فى نفقات الطباعة بقدر الإمكان.

وكان الإفتقار إلى الإحالات من سوءات هذا الفهرس وخصوصاً أنه لم يستخدم المدخل المكرر للأعمال المركبة.

ولقد توفر جيويت بعد توليه أمانة مكتبة بوسطن العامة بسنة واحدة على إصدار فهرس القاعة السفلى وفيه استمر فى مدخل العنوان بالكلمات البارزة ولكن مع تقوية هذا الإتجاه بعدد من كلمات الموضوعات مستخدماً المداخل المكررة بالنسبة للكتب التى تعالج أكثر من موضوع. كما اشتمل هذا الفهرس على إحالات وقد اعتبرت هذه الإحالات هى أحسن إضافة جديدة إلى الفهارس حيث كان يحيل من موضوعات إلى أخرى متصلة أو متشابهة. وقد وضعت أسماء المؤلفين أولاً تحت كل موضوع وقد ساعد ذلك على تسهيل الترتيب الهجائى وإضفاء أهمية أكبر على الموضوع. وهكذا اتخذ جيويت أولى الخطوات فى الاتجاه المضاد. وقد نفذت فكرة المدخل الموضوعى فيما بعد فهرس قاعة بيتس Bates Hall وملاحقه، ولقد أصبح الفهرس القاموسى مقبولاً رغم أنه لم يكن قد بلغ مرحلة النضج بعد.

ولقد ظهر ايرزا أبوت على مسرح الفهارس مرة ثانية سنة ١٨٦١ عندما توفر على إعداد فهرس هجائى ـ مصنف لمكتبة جامعة هارفارد حيث كان يقوم بإعداد الملاحق على بطاقات منذ ١٨٣٣ . وهذا الإجراء ليس جديداً كلية، ذلك أن المكتبات كثيراً ما كانت تحتفظ بأضابير على جزازات لتدخل فى الطبعات الجديدة من الفهرس المطبوع أو المخطوط. ويستفيد بها الموظفون كأداة مساعدة فى عملهم. وكما سبق أن أشرنا فإن فكرة البطاقات ليست فكرة أمريكية، بل فرنسية حيث استخدمها الفرنسيون لأول مرة سنة ١٧٩١ ثم استخدمت فى انجلترا سنة ١٨٢٠ وفى أيرلنده (دبلن) سنة ١٨٢٧ ، كما استخدم المتحف البريطانى جزازات من مقاس ١١ × ٤ بوصه كانت أساساً للفهرس المحزوم الذى بدأ سنة ١٨٤١ . وأول فهرس بطاقى للجمهور فى أمريكا استخدمته شركة مكتبة فيلادلفيا سنة ١٨٥٧ . وتلتها فى ذلك مكتبة بوسطن العامة حيث وضعت فهرساً بطاقياً فى قاعة بيتس سنة ١٨٧١ ومن الغريب أنه كان يمسك البطاقات سفودان من أعلى فى كل درج للحيلولة دون نزع البطاقات.

ولقد قامت مكتبة كلية هارفارد بالإضافة إلى استخدام فهرس بطاقى بإعداد فهرس موضوعى باستعمال رؤوس موضوعات حقيقية وليس مجرد الكلمات الدالة من العنوان. ولم تكن هذه الموضوعات لتوزع اعتباطاً حسب الحروف الهجائية ولكنها كانت تجمع بطريقة منطقية تحت شكل واحد.

وكان أبوت يهتم بإعداد فهرسين أو كشافين أحدهما بالمؤلفين والثانى بالموضوعات، وأولهما كان من النمط الشائع ويستخدم لتحديد وجود كتاب معين، وثانيهما يرتب هجائياً برؤوس موضوعات تتفرع بدورها ولكن ترتب الفروع أيضاً هجائياً، ومن هنا يمكن الاستفادة من بعض مميزات الفهرس المصنف وبالإضافة إلى المداخل التى أعدت للكتب كانت هناك مداخل تحليلية للدوريات وأعمال الأكاديميات وقد كان يعلل اتجاهه بأن أيا من الأساليب الثلاثة التى كانت متبعة لم

يكن يفى بالهدف : فالفهرس المصنف بدقة كان يتطلب معرفة بخطة التصنيف المعقدة، والفهرس المصنف الواسع كان من العمومية بحيث لا يفى بالغرض، والفهرس القاموسى يشتت المواد داخل الفهرس حسب حروفها الهجائية. وكان لجهود أبوت آثار واضحة على إجراءات الفهرسة وخاصة فيما يتعلق باستخدام البطاقات، أما اقتراحه الخاص بالترتيب الموضوعى فلم يقبل على نطاق واسع رغم أنها قد طورت لتستخدم أساساً فى الفهرس القاموسى.

ويعتبر فهرس Boston Athenaeum لسنة ١٨٧٤ نتاجاً تذكارياً لتلك الفترة التى توجت بالتفكير التقدمى لشارلزكتر والذى يرتبط إسمه بالفهرس القاموسى. وقد بدأ هذا الفهرس سنة ١٨٥٦ وهى السنة التى عين فيها بول Poole أميناً للمكتبة، ومر الفهرس بمراحل مختلفة حتى عين كتر أميناً سنة ١٨٦٨، ولم يسعد كتر بالخطوات التى سبقته فى الفهرس لأنه كان يريد عملاً غير عادى بمداخل كاملة ودقيقة. فأعطى فى مداخل المؤلفين الاسم الكامل وعمل على تحقيق مؤلفى الأعمال المجهلة كلما أمكن ذلك، وإلا أدخلها تحت الكلمة الأولى من العنوان. كذلك استخدم رؤوس موضوعات جديدة لا ترتبط بكلمات العنوان على النحو الذى كان معمولاً به فى ذلك الوقت. ومن الجديد أنه كان يعطى حاشية بالمحتويات لكل كتاب، مع مداخل تحليلية بها تحت المؤلف والعنوان والموضوع. كذلك أقدم كتر على إعداد مداخل تحليلية لمقالات الدوريات ومطبوعات الجمعيات العلمية. لقد كان عملاً مميتاً حقاً ولكنه كان يعتبر الفهرس مفتاحاً لمجموعة المكتبة. وقد غدا فهرس الـ Boston Athenaeum أنموذج العصر بترتيبه القاموسى بالمؤلف والعنوان والموضوع، والشكل والكثير من الاحالات. وقد شاع استعمال الفهرس القاموسى منذ ذلك الوقت فى جميع أنحاء الولايات المتحدة رغم إنتاج بعض الفهارس المصنفة القليلة.

وبالإضافة إلى نشر قواعد كتر سنة ١٨٧٦ وقعت أربعة أحداث كان لها تأثيرها

على الفهرسة أولها : تأسيس اتحاد المكتبات الأمريكية وما تبعه من مناقشات ومناظرات مستفيضة تتعلق بمزايا وعيوب الفهرس البطاقى والفهرس الكتاب والفهرس القاموسى والفهرس المصنف وتكشيف الدوريات وتكشيف المطبوعات الحكومية وغير ذلك من المسائل المتصلة بالفهرسة والفهارس حيث كانت الموضوع الرئيسى للإتحاد الجديد فى الفترة من ١٨٧٦ ـ ١٨٨٥. وثانيها : نشر تصنيف ديوى العشرى بكشافه الموضوعى، وقد صمم هذا التصنيف ليستخدم فى فهرس مصنف وكان كشافه النسبى بمثابة الحل أو العلاج لعيوب التصنيف. وهو التصنيف الذى سرعان ما تقبله المكتبيون واستخدموه أولاً لإعداد فهارس مصنفة فى البداية ثم لترتيب الكتب على الرفوف بعد ذلك، مع الفهرس القاموسى. وثالثها : صدور مجلة المكتبات الأمريكية American Library Journal والتى كانت تعرض نماذج من بطاقات الفهارس لدى العديد من المكتبات وأشارت إلى إمكانية التعاون فى الفهرسة عن طريق المجلة، بحيث تفهرس الكتب وتعرض فى المجلة لتكون عوناً للمكتبيين الذين يفهرسون كتبهم. ورابعها : إنشاء مكتب المكتبات Library Bureau الذى وضع مقاييس بطاقة الفهرس وكان أول مؤسسة تعرض البطاقات المطبوعة للبيع.

كذلك يعتبر الفهرس الكشاف لمكتبة : Index - Catalogue of the Library of the Surgeon - General's Office ١٨٨٠ـ١٨٩٥ والذى أعد تحت إشراف جون شوبيلنجز نتاجا تذكارياً هو الآخر لتلك الفترة فقد استغرق إعداده عشرين سنة، وقد استخدم عنوان «الفهرس الكشاف» للدلالة على أنه يضم الكتب والدوريات. ومن ملامحه الرئيسية استخدام رؤوس موضوعات محدودة وغير مرتبطة بكلمات العنوان كما رتبت تفريعاتها ترتيباً منطقياً وهذه التفريعات كانت توضع بين معقوفتين وليس بعد شرطة على نحو ما نقوم به ـ وقد بلغت مجلدات هذا العمل ستة عشر.

إن من الملامح الهامة فى تلك الفترة دعوة ويليام كولى فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلى الفهرسة المركزية أى وجود هيئة مركزية تتولى عملية

الفهرسة وتوزعها على المكتبات، وشاركه فى هذه الدعوة شارلز جيويت باستخدام الألواح المحسسة فى الطباعة. وقد جدد هذه الدعوة كل من هنرى ستيفنز فى مؤتمر المكتبيين سنة ١٨٧٧ و ف. ماكس موللر من قبله سنة ١٨٧٦ فى مقال نشره فى جريدة تايمز اللندنية فى مارس من تلك السنة وقد اقترح فيه أن تقوم المكتبات الوطنية بفهرسة الكتب التى تنشر فى بلدها، بل ذهب إلى أبعد من هذا حين اقترح أن يقوم كل مؤلف بوضع جزازة بيانات مناسبة فى كتابه وأشار إلى إمكانية تكوين ثلاثة أو أربعة فهارس من هذه الجزازات : فهرس مؤلفين، فهرس زمنى، فهرس جغرافى، فهرس مصنف بالموضوعات وهكذا توالت الدعوة إلى هذا المشروع. وأول محاولة ناجحة ولكنها كانت قصيرة العمر هى المحاولة التى قامت بها مجلة أسبوعية الناشرين Publishers' Weekly على شكل جزازات يمكن قصها ولصقها على بطاقات بيضاء، تلتها مغامرة أخرى قام بها اتحاد المكتبات الأمريكية فى سنة ١٨٨٥ وغيرها من المحاولات التى لم يكتب لها النجاح أو الدوام فى ذلك القرن. إلى أن جاءت مكتبة الكونجرس فى يوليو ١٨٩٨ وبدأت فى طبع بطاقات للكتب المودعة، وبعد هذا التاريخ بفترة قصيرة أخذت فى تبادل هذه البطاقات مع مكتبة أو اثنتين من كبرى المكتبات التى لها بطاقات مطبوعة فى ذلك الوقت. ولم يبدأ مشروع توزيع بطاقات مكتبة الكونجرس على كل المكتبات الراغبة إلا مع مطلع القرن العشرين سنة ١٩٠١. وكان بين أسباب فشل المحاولات المبكرة عدم قدرة أمناء المكتبات على استيعاب وتقبل هذا التجديد، وفشل البطاقات فى أن تحمل الممارسات الفردية لكل مكتبة مثل اسم المؤلف، حجم البطاقة، المعلومات الببليوجرافية وكذلك التأخير فى وصول البطاقات للمكتبات.

وكان يحدث من حين لآخر أن تستعين الفهارس بكشاف هجائى بالموضوعات، وهذه الكشافات هى فى الواقع أسلاف قوائم رؤوس الموضوعات الموجودة فى أيامنا الآن، إذا أنه بعد تحرر رؤوس الموضوعات من كلمات العنوان، سرعان ما تنبه المفهرسون إلى ضرورة توحيد شكل رأس الموضوع الذى تختاره الفهارس المختلفة.

ولقد أدى الفهرس القاموسى إلى بروز هذه المشكلة بحدة ذلك أن رؤوس الموضوعات الآن أصبحت كلمات تعبر عن المحتوى الفكرى وليس عن عنوان الكتاب. من هنا كان لابد من تطوير صيغة رأس الموضوع ليغطى كافة الاحتمالات التى يبحث تحتها القارئ. وقد شكلت فى سنة ١٨٧٩ لجنة عن طريق اتحاد المكتبات الأمريكية لدراسة إمكانية إعداد كشاف رؤوس موضوعات يصبح بمثابة ملحق لقواعد كتر. وفى عام ١٨٩٥ أسفرت جهود اللجنة عن «قائمة رؤوس موضوعات تستخدم فى الفهرس القاموسى» "List of Subject Headings for the use in the dictionary catalogue" .

وكان هذا العمل مزيجاً من رؤوس الموضوعات المستخدمة فى عديد من الفهارس والمصادر الأخرى وقد نقحت وأعيدت صياغتها بشكل دقيق وأحكمت باستخدام إحالات انظر وانظر أيضاً. وقد اعتبرت قائمة قياسية لكل أنواع المكتبات ولاقت قبولاً حسناً فى طبعاتها الثلاث حتى آخر إصداره سنة ١٩٠٩ـ١٩١٤. وقد ساعد على ذيوع انتشار قائمة مكتبة الكونجرس انتشار استخدام بطاقاتها المطبوعة. إلا أنه كان يعيبها فشلها فى استخدام الاحالات حتى سنة ١٩٤٣ رغم صدور ملاحق لها تضم المصطلحات الجديدة.

وكان هناك أيضاً فى تلك الفترة ثلاثة من الأعمال الببليوجرافية العظيمة لها أثرها على الفهرسة والفهارس، الأول : كشاف بول للدوريات الذى استمر يغطى حتى سنة ١٨٨٢ ، والثانى : كشاف اتحاد المكتبات الأمريكية لسنة ١٨٩٣ ، والثالث : هو فهرس مكتبة اتحاد المكتبات الأمريكية الصادر أيضاً فى سنة ١٨٩٣ ، وقد قصد به أن يستخدم كأداة فى الفهرسة والاختيار وكفهرس مطبوع. ومن الجدير بالذكر أن هذه الأعمال الثلاثة ماتزال تصدر حتى اليوم وإن كانت تحت عناوين أخرى وعن ناشرين آخرين..

هذا ولقد شهد هذا القرن مولد عدد من تقانين الفهرسة وهو أمر لم يكن معروفاً من قبل وإن كانت له إرهاصاته فى القرن السابق نتعرض هنا لأهمها.

قواعد المتحف البريطانى ١٨٤١:

قبل إدماج المكتبة الملكية مع مكتبة كوتون وهارلى وسلون سنة ١٧٥٣ كانت هناك محاولات متفرقة فى الفهرسة ولكنها جميعاً كانت فجة وبدائية وفى سنة ١٧٥٩ اقترح مجلس المكتبة الجديدة إنشاء فهرس شامل بل وأبعد من هذا سنة ١٨٠٧ اقترح إنشاء فهرس هجائى لكل مجموعة على حدة مع فهرس مصنف شامل لكل المجموعات على نحو ما تذكره دورثى نوريس وقد أسفرت الجهود عن نشر سبعة مجلدات بين سنتى ١٨١٣ ـ ١٨١٩.

هذا ولقد دعا التركيز على وجود فهرس مصنف توماس هورن إلى تقديم (مخطط تصنيف المكتبة) سنة ١٨٢٥ للمجلس، الذى شجعه على المضى فى مشروعه إلا أن الظروف حالت دون ذلك وتوقف المشروع سنة ١٨٣٤؛ ورغم التوقف فقد قدم «مجموعة ملاحظات على طريقة إدخال العناوين وتصنيفها» كان لها أثرها فى الفهرسة إذ تضمنت عدداً من القواعد الخاصة بالوصف الببليوجرافى مثل المحتويات، أشكال أسماء المؤلفين والحاجة إلى عدة كشافات للفهرس المصنف(١).

بعد توقف هورن عن العمل تقدم هنرى بابر (أمين الكتب المطبوعة) بخطة من ستة عشر قاعدة لفهرس المؤلف الهجائى كانت تهدف إلى توحيد شكل بطاقات الفهرسة ومن هذه القواعد إدخال الكتاب تحت اسم المؤلف أينما ظهر فى أى موضع من الكتاب ـ واتخاذ شكل الاسم كما ورد على صفحة العنوان ـ الأعمال مجهولة المؤلف تدخل تحت أهم أو أبرز كلمة فى العنوان؛ مع وضع اسم المؤلف إذا أمكن استقاؤه من مصدر آخر بين معقوفتين بعد العنوان ـ الكتب ذات أسماء المؤلفين المستعارة تدخل بالاسم المستعار مع وضع الاسم الحقيقى للمؤلف بين معقوفتين

(1) Hanson, Eugene and Jay Daily. "Catalogs and Cataloging" **in** Encyclopedia of library and Information Science, Vol.4 p. 271.

بعد العنوان ـ يكون المدخل فى التجميعات باسم المحرر ـ والمترجمات تدخل باسم المؤلف الأصلى..

وفى سنة ١٨٣٧ عين بانتزى Panizzi ـ وكان لاجئاً سياسياً إيطالياً ـ أميناً للكتب المطبوعة خلفا لبابر. وكان عليه أن يقوم بإعداد الفهرس الشامل المقترح والقواعد المعروفة «بالإحدى وتسعين قاعدة» والتى استخدمت فى إعداد هذا الفهرس لم تكن من إختراع بانتزى وحده ولكن اشترك معه فيها كل من ادوارد إدواردز ـ ج. و. جونز ـ ج، هـ. بارى ـ توماس واتس. وهكذا جاء أول تقنين للفهرسة ثمرة جهود خمسة من كبار شخصيات العصر وضعوا فيه عصارة فلسفتهم فى الفهرسة. وقد وافق المجلس على هذا التقنين فى سنة ١٨٣٩ ونشر سنة ١٨٤١. وبصرف النظر عن تعثر إنتاج الفهرس والعقبات التى صادفته فإن هذه القواعد ظلت معينا هاماً لكل ما تلاها من تقانين، فقد ثبتت أهمية صفحة العنوان كمصدر ثقة للمعلومات عن الكتاب. كما أكدت على ضرورة الإحالات المختصرة إلى المدخل الرئيسى وهو أمر مازال بعض المكتبات يتبعه حتى بعد دخول الفهرس البطاقى وفكرة البطاقة الموحدة. كذلك فإن معالجة بانتزى للكتب مجهولة المؤلف أكدت على أن اهتمامه الأكبر انصب على أن الفهرس ليس مجرد أداة سريعة لتحديد مكان الكتاب. وكان من أهم إنجازات تلك القواعد «الإحدى والتسعين» فكرة وضع الهيئات تحت الدولة أو المكان الذى تتبعه[1].

إن هذا التقنين هو أحد الإنجازات التذكارية التى تمثل أهم محاولة لتقنين قواعد إعداد فهرس المؤلف على أسس علمية منطقية مع استخدام الاحالات، جمعت كل الممارسات السابقة وأصبحت ركيزة لكل التقانين التى جاءت فى المستقبل، وكان لها خطرها على مهنة المكتبات على الأقل فى الدول الناطقة بالإنجليزية.

(1) Ibid p. 272.

قواعد جيويت ١٨٥٢ :

هو أول تقنين متميز بقواعد للفهرسة يصدر فى الولايات المتحدة توفر على إعداده شارلز جيويت أمين مكتبة معهد سميثونيان، وقد فكر فى البداية أن يقدم مجموعة من القواعد الموحدة مدعومة بالشروح والنماذج وكانت «الروح الأساسية» فى هذا التقنين هى تأمين التوحيد. ونصادف من الروح الأساسية فى هذا التقنين أن الفهرس فى نظر جيويت ليس سوى قائمة بالكتب التى تضمها المكتبة وليس من المفروض أن يعطى من المعلومات أكثر مما أراد مؤلف الكتاب أن يعطيه على صفحة العنوان أو ناشر الكتاب فى بيان النشر أو حرد المتن وكذلك شكل الكتاب. ويضيف جيويت نفسه أن الفهرس قد صمم ليبين الكتب التى تضمها مكتبة معينة ليس إلا والأشخاص الذين يرغبون فى معلومات أكثر عليهم أن يتوجهوا إلى مصادر أخرى.

والمتأمل فى قواعد جيويت يجدها مستقاة من قواعد بانتزى مع تغييرات طفيفة وخاصة فى المعالجة المبسطة للكتب مجهولة المؤلف ومداخل الهيئات التى عولجت بطريقة أوضح فى القاعدة ٢٣ وقد وضعت جميع مداخل الهيئات فى فئة واحدة واقترحت إدخالها تحت اسم الهيئة مباشرة بينما مطبوعات حكومة الولايات المتحدة تدخل تحت «الولايات المتحدة». ولتأمين التوحيد لابد من إدخال المطبوعات المجهلة تحت الكلمة الأولى من العنوان إذا لم تكن أداة مع الإحالة من أى احتمال آخر. أما الأعمال ذات الأسماء المستعارة فتدخل تحت الاسم المستعار للمؤلف متبوعاً بكلمة «مستعار» ولا يمكن اعتبار الاسم مستعاراً إذا نشر المؤلف أى طبعة أو كتاب أو ملحق باسمه الحقيقى.

ورغم صغر حجم هذا التقنين واستناده إلى قواعد المتحف البريطانى فإننا لا ينبغى أن نغمطه حقه وخاصة فيما يتعلق بروح التوحيد، التى كان لها أثرها المباشر على كثير من التقانين فى المستقبل.

قواعد كرستادورو ١٨٥٦ :

بعد أربع سنوات من نشر قواعد جيويت قام أندرس كرستادورو -Andres Cresta doro بنشر كتيب صغير تضمن تطويراً لفكرة «كلمة الموضوع» وقد اعترض على الفهرس المصنف بسبب اعتماده على تقسيم اصطناعى واقترح مدخلاً مفصلاً يعتمد فى ترتيبه على رقم الورود يدعم بكشاف هجائى مستفيض بالمؤلفين والموضوعات. وجاء فى قواعده أنه على المفهرس تضمين كشافه اسم المؤلف والموضوع «وطبيعة» أو شكل الكتاب حتى ولو لم يستطع العنوان تقديم مثل هذه المعلومات. وقد اقترح أيضاً إنشاء شبكة مستفيضة من الإحالات للتغلب على مشكلة تعدد الصيغ للشئ الواحد وكذلك لربط الأشياء ذات الصلة. وكان يفضل استخدام ألفاظ العنوان على أن تدعمها معلومات إضافية ـ إذا اقتضى الأمر ـ من جانب الفهرس.

قواعد كتر ١٨٧٦ :

أشمل وأكمل قواعد نشرت فى ذلك القرن، وقد صدرت باعتبارها الجزء الثانى من تقرير مكتب التعليم عن المكتبات العامة فى الولايات المتحدة من صفحة ٥٢٦ ـ ٦٢٢. وهذه القواعد تعكس تأثير بانتزى وجيويت وبركنز وأبوت وبول وغيرهم من مشاهير المكتبيين فى ذلك القرن. وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٨٧٦ والرابعة فى ١٩٠٤ وتعكس القواعد كافة إجراءات الفهرسة وفيها قسم خاص بالتعريفات وقسم خاص بالمداخل مفرعاً إلى مداخل المؤلفين والعنوان والموضوع والشكل والمداخل التحليلية ثم قسم خاص بالوصف الببليوجرافى ويضم تفصيلات الفقرات المختلفة بالبطاقة وعلامات الترقيم. وهناك أقسام أصغر تهتم بالفهارس الأخرى وفهرسة المواد الخاصة.

وكانت هذه القواعد قمة فى فن الفهرسة فى ذلك القرن وأكمل تقنين زودت

بملاحظات ونماذج واقترحت كثيراً من الحلول للمشكلات القائمة. والحقيقة أن الروح العملية البرجماتية تسود قواعد كتر وتقوم على دعائم ثلاثة :

(أ) طريقة القارئ وعاداته فى استخدام الفهرس.

(ب) رؤوس الموضوعات الدقيقة المحددة والمباشرة بحيث يستقى كل رأس موضوع من المحتوى وليس من العنوان وينطبق على كل الكتب فى مجاله.

(جـ) الفهرس ليس مجرد أداة لتحديد مكان الكتب، بل أداة معلومات أبعد من هذا.

والحقيقة أن القواعد الخاصة بمداخل الموضوع تمثل أول تقنين متكامل وتعتبر أساس الفهرسة الموضوعية فى الولايات حتى اليوم ولم يأت بعده فى هذا الصدد سوى تقنين الفاتيكان سنة ١٩٣١(١).

ولابد من التنويه إلى أن الفهرس الكتاب كان هو السائد أيام كتر وقد وضع تقنينه على هذا الأساس ـ رغم اعترافه بأن الفهرس البطاقى هو شكل المستقبل ـ ومعظم المشاكل التى نصادفها اليوم فى الفهرس القاموسى إنما ترجع إلى أن كتر قد وضع قواعده للفهرس الكتاب، الذى يعتمد على المدخل الرئيسى وصممت للمكتبات الصغيرة وليس للمكتبات العميقة التخصص التى تقتنى أشكالاً مختلفة من المواد المكتبية.

وخلاصة القول أن القرن التاسع عشر كان قرناً ولوداً فى مجال الفهارس والفهرسة فقد شهدت السنوات الأولى من القرن الفهرس المصنف والهجائى بالمؤلف على السواء مع عدد متنوع من الفهارس والكشافات الموضوعية. وكان بانتزى وجيويت فى جانب الفهرس الهجائى بالمؤلف. وتطورت فهارس المؤلف بالتدريج إلى

(1) Ibid p.p. - 273 - 276.

الفهرس القاموسى عندما أصبحت رؤوس الموضوعات مسألة أساسية فى الفهرس وكانت تعتمد أساساً على الكلمات الدالة فى العنوان. وفى أوربا كان هناك ميل دائم نحو الفهرس المصنف رغم أن انجلترا لم تكن أبداً فى جانبه.

وكان شكل الفهرس السائد هو الفهرس الكتاب سواء كان مخطوطاً أو مطبوعاً. وكان استخدام فهرس الجزازات مقصوراً فقط على الإعداد للفهرس الكتاب ثم أخذت تخرج عن هذا النطاق. وقد اقترحت البطاقات بل واستخدمت كفهارس من جانب المكتبات الفرنسية فى القرن الثامن عشر كما رأينا ولكنها لم تكتسب تأييداً إلا بعد ازدياد المطبوعات وتغير النظرة إلى فكرة الضبط الببليوجرافى بحيث احتاج الأمر إلى مزيد من المرونة. فاستخدمت الفهارس البطاقية فى أمريكا فى منتصف القرن التاسع عشر. وفى سنة ١٨٩٣ أصبح الفهرس الغالب هو الفهرس البطاقى فى أمريكا حيث عدد لين Lane ٤٣ مكتبة تستخدم هذا الشكل رغم استخدامه بعض الأحيان كملحق للفهرس المطبوع. كما يقرر لين أن أدراج الفهارس كانت تصمم لتضم بطاقات من حجم ٧,٥×١٢,٥سم (حجم بطاقة البريد الأمريكية) أو ٥×١٢,٥سم، رغم وجود أدراج من أحجام أخرى.

وقد اتضحت الحاجة إلى الفهرس الموضوعى وقد جاء هذا الاحتياج عرضاً فى بادئ الأمر من قوائم الرفوف، والكتب المجهلة، فاستخدمت أولاً كلمات الموضوع مأخوذة من العنوان ثم بلورت رؤوس موضوعات مستقلة عن عبارات العنوان على النحو الذى قال به جيويت وأبوت وكتر.

وفى هذا القرن تقدمت صياغة شكل مداخل المؤلفين والعناوين تقدماً كبيراً. وكانت الأعمال المجهلة توضع تحت رؤوس موضوعات شكلية أو موضوع واسع أو المكان أو بدائل أخرى. وقد دعا جيويت وكتر إلى فصل مداخل الهيئات من الأعمال المجهلة وحددوا لها مداخل منطقية.

كذلك عولجت فى هذا القرن الكتب ذات الأسماء المستعارة بطرق مختلفة سواء فى بداية القرن أو نهايته.

ومن الواضح أن بيانات الوصف فى هذا القرن قد أخذت فى التوسع والشمول رغم وجود تفاوت بين الممارسات المختلفة وتحت شتى المداخل المختلفة ذلك أن استخدام الفهرس المطبوع كان يدعو دائماً إلى الاختصار تحت المداخل الإضافية إذا جاز لنا هذا التعبير بالنسبة لتلك الفترة.

وطوال القرن كانت صفحة العنوان هى المصدر الأساسى لاستقاء البيانات الببليوجرافية مع استخدام الأقواس المعقوفة للدلالة على الإضافة من جانب المفهرس فى السنوات المتأخرة من القرن. وقد اعتبر الناشر أو الطابع عنصراً أساسياً من عناصر الوصف فى السنوات الأولى من القرن. واستمر تحديد الحجم معمولاً به طوال القرن رغم اختلاف التعبير عنه فى الفهرس. أما ذكر عدد الصفحات فقد بدأ على استحياء فى بداية القرن ولكنه أصبح أمراً شائعاً فى نهايته. كذلك أصبح المحرر والمترجم بل والفنان من العناصر الرئيسية فى بيانات الوصف.

كذلك بدأ فى هذا القرن استخدام حاشية المحتويات وانتشر استخدامها فى الربع الأخير منه، كما بدأ استخدام المداخل التحليلية فى الفهارس وخاصة بالنسبة للدوريات ومطبوعات الجمعيات العلمية.

واستخدمت التقانين كأدلة فى إعداد الفهارس ومن هنا جنحت الفهرسة نحو التوحيد بدلاً من الممارسات الفردية التى اتبعتها المكتبات فى بداية القرن. وكان بانتزى وجيويت وكتر هم الرواد فى ذلك القرن مع استمرار تأثير كتر حتى يومنا هذا.

لقد مرت الفهارس الأمريكية فى هذا القرن بمرحلة قفز بينما ظلت الفهارس الأوربية فى حالة ثبات أو ركود. وكان الافتقار الأوربى إلى قواعد تعد الفهارس على

هدى منها سبباً فى عدم توحيد تلك الفهارس ولو إلى الحد الأدنى حتى العقدين الأخيرين من القرن حيث برزت التقانين فى أوربا وأصبحت أساساً لإعداد الفهارس. ولم تعد الفهرسة وإعداد الببليوجرافيات مجرد هواية بل غدت عملاً مهنياً يقوم به مفهرسون متدربون. وكان افتتاح أول مدرسة مكتبات فى سنة ١٨٨٧Columbia school of library economy إيذاناً ببدء العهد المهنى وانتهاء عصر الاجتهاد الشخصى.

وبينما كان العالم الغربى يعج بتلك التطورات السريعة فى مجال الفهرسة كان العالم العربى مايزال يعيش مرحلة قائمة الجرد فقد توفر الأستاذ عبد الله كنون على نشر أربعة فهارس لأربع مكتبات خاصة كلها ترجع إلى القرن التاسع عشر وهذه الفهارس على شكل وثائق، والحقيقة أن هذه الفهارس تدل أيضاً على طبيعة قائمة الجرد وليس كأداة بحث وتعريف بالكتب وقد دل ناشر الفهارس على هذا المعنى بقوله إنها «تسمية للكتب». وترجع قيمة هذه الوثائق إلى أنها تدلنا على ما كان يجرى فى المغرب العربى فهى جميعاً لمكتبات مغربية[١].

والفهرس الأول : خاص بمكتبة المؤرخ الأديب أبى الربيع سليمان الحواث وهو صفحة على ورق سميك (٤٨×٢٨سم) بخط مغربى والفهرس كثير التصحيف مما يدل على أن كاتب الفهرس ليس له إلمام بأسماء الكتب والمؤلفين وعدد سطور هذا الفهرس ١٧٢ سطراً قد يضم السطر الواحد أكثر من كتاب. توفى صاحبها سنة ١٢٣١هـ.

والفهرس الثانى : خاص بمكتبة الفقيه أبى حامد محمد العربى الزرهونى العزوزى كتبه المؤلف بنفسه وساعده ابنه ويقع هو الآخر فى صفحتين (٣٨×١٧سم) وعدد السطور فيه ١٦٧ سطراً بخط دقيق. وأهم ما يمتاز به الفهرس

(١) عبد الله كنون : أربع خزائن لأربعة علماء من القرن الثالث عشر. مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد التاسع، الجزء الأول مايو ١٩٦٣. ص ٤٧ وما بعدها.

التعليقات التى كتبها المفهرس صاحب المكتبة على بعض الكتب. وتوفى صاحبها سنة ١٢٦٠هـ.

والفهرس الثالث : خاص بمكتبة أبى العباس أحمد الودانى الشنقيطى والجديد فى هذا الفهرس الأثمان التى قومت بها الكتب وقد بلغ عدد الكتب فى هذا الفهرس حوالى ٢٢٣ كتاباً توفى صاحبها فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى تقريباً.

والفهرس الرابع : خاص بمكتبة الفقيه أبى عبد الله محمد بن المدنى كنون، وتبلغ الكتب هنا ٣٧٨ كتاباً. وقد توفى صاحبها ١٣٠٢هـ.

ومن دراسة هذه الفهارس مجتمعة نخرج بالمؤشرات التالية[١] :

١ـ ليس هناك خطة محددة لترتيب الكتب فى الفهارس اللهم إلا فى الفهرس الرابع حيث حاول المفهرس تجميع الكتب فى وحدات موضوعية دون أن يكون هناك رأس موضوع فى الفهرس بل فقط فى ذهن المفهرس.

٢ـ أنها جميعاً كانت تورد العناوين مختصرة جداً كأنهم كانوا فى عجلة من أمرهم أو لأن هذه الكتب كانت مشهورة فلا حاجة إلى تفصيل العنوان، وأحياناً كان يكتفى باسم المؤلف عوضاً عن العنوان.

٣ـ كان هناك الحرص الشديد على ذكر عدد المجلدات أو الأجزاء أو الأسفار، وهذا يدلنا على أن هذه الفهارس كانت مجرد قوائم جرد ليس إلا.

٤ـ لم تعرف هذه الفهارس فكرة تحليل مضمون المجلد الواحد الذى يضم عدداً من الأعمال على النحو الذى عرفته المكتبات الأوربية حتى فى العصور الوسطى الباكرة.

---

(١) نص الفهارس الأربعة ص ص ٥٦ـ١٠٥ من المصدر المذكور سابقاً.

٥ـ لا نجد فى هذه الفهارس أى أثر لذكر بيانات أخرى لوصف الكتب على النحو الذى نضج فى أوربا وأمريكا فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

ونورد فيما يلى أربعة نماذج من الفهارس الأربعة على الترتيب :

«سفران من الفخر الرازى الأول والثالث»

«النصف الأول من جسوس على الشمائل»

«القطب وما معه»

«كتاب روح البيان فى تفسير القرآن فى ستة أسفار»

هذا وكان أول فهرس نشره عربى فى العالم الإسلامى هو فهرس المكتبة الوفائية التابعة للسجادة الوفائية فى القاهرة وقد طبع سنة ١٢٦٨هـ (١٨٥١) كما توفرت مطبعة بولاق الأميرية فنشرت فهرساً لمكتبة إلهامى باشا فى القاهرة سنة ١٢٧٨هـ (١٨٦١). وبعد إنشاء دار الكتب المصرية (الكتبخانة الخديوية آنذاك) بثلاث سنوات عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٣) صدر لها فهرس مطبوع توفرت على طبعة مطبعة وادى النيل. ونشرت تونس عام ١٢٩٢هـ(١٨٧٥) فهرساً للكتبخانة الصادقية كما نشر فى دمشق فهرس المكتبة العمومية (دار الكتب الظاهرية الآن) عام ١٢٩٩هـ(١٨٨١). وطبعت الحكومة العثمانية عام ١٣٠٠ و ١٣١٢هـ (١٨٢٢ و١٨٩٤) فهارس بالكتب العربية المقتناة فى مكتبات استانبول وعددها اثنان وأربعون فهرساً.

وقامت الكتبخانة الخديوية المصرية بالقاهرة مرة ثانية فى عام ١٣٠٦ـ١٣١٠هـ (١٨٨٨ـ١٨٩٢) بنشر فهارس بمقتنياتها حتى ذلك الوقت.

لقد عرف العرب منذ القرون الأولى للإسلام تصنيف العلوم فهذا هو الكندى (٨٠١ـ٨٦٥م) أول مصنف للعلوم عند العرب، يقسم العلوم قسمين، دينية وفلسفية أو دينية ودنيوية ثم يفصل كل منهما إلى شعب وفروع وهكذا، ومن بعده

جاء الفارابى (٨٧٠ـ٩٥٠م) بتصنيفه الشهير الذى أسماه (إحصاء العلوم) ويقول فى مقدمته (قصدنا فى هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علماً علماً ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها وأجزاء كل ما له منها أجزاء وجمل ما فى كل واحد من أجزائه...) وكذلك الخوارزمى (القرن العاشر الميلادى) فى تصنيفه المعروف باسم مفاتيح العلوم، وإخوان الصفا تلك الجمعية الفكرية التى نشأت ونمت فى بغداد فى القرن العاشر كان لها تصنيفها الخاص للعلوم. والشيخ الرئيس ابن سينا الذى يقسم تصنيفه للعلوم إلى عملية ونظرية ثم يفرعها بعد ذلك. والغزالى الذى صنف العلوم إلى قسمين علم المكاشفة وعلم المعاملة ويفرعهما، وابن خلدون الذى صنف العلوم إلى علوم طبيعية وعلوم نقلية.

كذلك عرف العرب التصنيف الببليوجرافى واستخدموه فى ببليوجرافياتهم الأولى، فهذا هو ابن النديم فى الفهرست (القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى) الذى وضع تصنيفه الشهير وقسمه إلى عشر مقالات وكل مقالة إلى فنون. وهذا هو طاش كبرى زاده (القرن العاشر الهجرى ـ السادس عشر الميلادى) الذى وضع ببليوجرافيته الشهرية مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم وكان له تصور خاص للمعرفة البشرية حيث قسمها إلى أربع مراتب رئيسية وكل مرتبة قسمها إلى دوحات وكل دوحة إلى مقدمة وشعب.

ولكن رغم كل هذه الجهود الفكرية فإن فهارس المكتبات ورصيد المكتبات فى الأعم الأغلب كان بعيداً.. فلم يثبت لنا أن أية مكتبة قد استخدمت تصنيفاً مفصلاً أو حتى موسعاً فى ترتيب كتبها أو مفردات فهارسها. ومما ساعد على عدم قدرتنا على تقصى تلك الحقائق بطريقة عملية منظمة أنه لم تصلنا فهارس تلك المكتبات أو تصلنا مكتبات كاملة. فقد ابتليت المكتبات الإسلامية بمصائب أطاحت بها بعضها كالإعصار المدمر (ومنها اجتياح المغول للعالم الإسلامى فى القرن السابع الهجرى ـ الثالث عشر الميلادى. واجتياح الأتراك العثمانيين فى القرن التاسع

الهجرى ـ السادس عشر الميلادى). ومن المصائب التى حلت بالمكتبات الإسلامية بعض العادات العربية السيئة من حرق ودفن وغسل الكتب حتى لا تقع فى يد من يسئ استخدامها أو لا ينتفع بها. كل هذه المصائب أدت إلى عدم وصول مكتبة كاملة إلينا وإلى عدم وقوفنا على فهارس كاملة لتلك المكتبات العظيمة التى تناهت إلينا أخبارها.

عصر الازدهار والتقدم

القرن العشرون :

يمكننا أن نقسم نشاطات الفهرسة فى القرن العشرين إلى مرحلتين متميزتين :

الأولى : المرحلة التقليدية التى امتدت تقريباً حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

والثانية : هى مرحلة البعث والتجديد منذ نهاية الحرب. وقد ظل الفهرس ردحاً طويلاً مجرد قائمة بسيطة بأسماء المؤلفين، ولكن الفهرس الآن ـ بعد الحرب الثانية ـ هو فهرس موضوعى بالدرجة الأولى لأن عصر البحث العلمى يحتاج إلى تجميع المادة العلمية فى الموضوع بصرف النظر عن المؤلف.

وقد بدأ القرن العشرون بحدثين كبيرين فى عالم الفهرسة :

أولهما : إعادة تنظيم قسم الفهارس فى مكتبة الكونجرس ودعمه بمفهرسين كبار من أمثال جيمس كريستيان هانسون وشارلز مارتل.

وثانيهما : تشكيل لجنة فى اتحاد المكتبات الأمريكية لتنقيح قواعد الفهرسة التى أصدرها سنة ١٨٨٣. وجاء العمل فى موعده مع جهود مكتبة الكونجرس وقد أعدت المسودة أو النسخة المبدئية وطرحت للتعليق والنقد. وفى نفس الوقت فإن اتحاد المكتبات البريطانى قد أخذ فى تنقيح قواعد الفهرسة فى بريطانيا ورأى ديوى أن هذه

فرصة سانحة لتوحيد القواعد بين الدول الناطقة بالانجليزية فشكلت لجنة فى سنة ١٩٠٨ نقحت القواعد ونشرتها فى طبعتين مستقلتين ولم يكن هناك سوى ثمان قواعد فقط لم يتفق عليها.

وفى أوائل هذا القرن أيضاً استمرت الفهرسة التعاونية وقويت. فبدأت مكتبة الكونجرس فى طبع بطاقات الفهارس يؤازرها فى ذلك بعض المكتبات الحكومية الأخرى سنة ١٩٠١. وقد توسع المشروع ليضم عدداً من المكتبات الحكومية الكبرى اعتباراً من سنة ١٩١٠. وما أن جاءت سنة ١٩٣٢ حتى افتتح اتحاد المكتبات الأمريكية مكتباً له فى مكتبة الكونجرس بدعم من مجلس التعليم العام. وبعد سنتين أصبحت خدمة الفهرسة التعاونية والتصنيف قسماً من المكتبة، وفى سنة ١٩٤١، أصبحت العملية جزءاً من قسم الفهرسة الوصفية(١).

لقد استمر الفهرس القاموسى سيد الموقف فى النصف الأول من القرن فيما عدا استثناءات قليلة، رغم استمرار الجدل حول فاعلية هذا النوع من الفهارس، وأفضلية الفهرس المصنف عليه وخاصة فى المكتبات المتخصصة.

ولقد انبثق عن هذا الجدل نوع من الفهارس يعرف بالفهرس المجزأ Divided Cat-alogue وذلك بفصل المداخل الموضوعية والشكلية عن مداخل المؤلف والعنوان ليكون كل منهما فهرساً مستقلاً، وجرى ذلك على وجه التحديد بين سنتى ١٩٣٨ـ١٩٤٧. ثم تحولت المسألة من الفصل بينهما على ذلك النحو إلى تجزئ الفهرس زمنياً بواسطة تاريخ نشر المطبوع وخاصة فى مكتبات البحث الكبيرة لتفادى تضخم عدد المفردات تحت الرأس الواحد.

---

(1) U. S. Library of Congress-Descriptive cataloging Division : Cooperative cataloging manual for the use of contributing libraries. Washington, Govt. Printing Office, 1944. p.p. 8-9.

كما شهدت أوائل القرن مزيداً من المطبوعات التى تعالج فهرسة المواد المكتبية الأخرى خاصة الدوريات والمسلسلات فأصدرت مكتبة الكونجرس دليلاً لفهرسة الدوريات سنة ١٩١٨ أتبعته بآخر عن فهرسة المسلسلات سنة ١٩١٩، أعيد تنقيحهما وطبعهما بعد ذلك مرات كثيرة، وكان ذلك دلالة على الحاجة إلى مزيد من القواعد لتواجه الانفجار الفكرى الذى بدأ يهب مع مطلع القرن.

ولعل هذا الانفجار الفكرى وما تبعه من تضخم فى حجم الفهرس هو الذى أدى إلى التفكير فيما يعرف بالفهرسة المبسطة والفهرسة الانتقائية، ورغم أن الفهرسة الانتقائية قد اقترحها ديرى فى سنة ١٦٤٩[١] إلا أنها قد نوقشت باستفاضة فى القرن العشرين[٢]. وهذه الفهرسة الانتقائية مجرد محاولة للتقليل من عدد المداخل فى الفهرس وذلك بتقسيم المواد المكتبية إلى فئات حسب الاستخدام، حيث تفهرس الأعمال المرجعية والكتب الأساسية فهرسة كاملة لأنها هى حجر الزاوية فى المكتبة بينما المواد ذات القيمة الوقتية كالنشرات أو المطبوعات الحكومية تستبعد كلية من الفهرسة، ولقد حتم هذا الاتجاه على المفهرس أن يكون واعياً لاحتياجات القارئ وتعنى الفهرسة المبسطة بحذف بعض عناصر البطاقة غير الضرورية، بحيث تختصر البطاقة فلا يتعب المفهرس نفسه فى تحقيق اسم المؤلف، كما يعطى أقل عدد ممكن من البطاقات الاضافية وغير ذلك من الاجراءات. وهذه الفهرسة المبسطة كانت الدعوة إليها أشد فيما يتعلق بالمكتبات العامة الصغيرة ومكتبات الأطفال والمكتبات المدرسية. ولقد قامت مكتبة الكونجرس بتحديد درجات الفهرسة فى سنة ١٩٤٧ وحدود الفهرسة فى سنة ١٩٥١ للاهتداء بها فى الفهرسة الانتقائية والفهرسة المبسطة، وأعطت أمثلة على الأعمال التى تخضع للفهرسة الكاملة وتلك التى تخضع للفهرسة المبسطة أو لا تفهرس على الإطلاق.

---

(١) انظر ص ٣٢ من هذه الدراسة.

(2) Van Haesen, H. B. : Selective cataloging. New York, 1928.

لقد تعرض الفهرس البطاقى هو الآخر لجدل شديد فقد انصبت دفوع استخدامه على فاعلية الفهرس والمرونة والتنظيم ولكن منذ الثلاثينات بدأت الدراسات حول جدوى هذا الشكل من أشكال الفهارس وتحول مسار المناقشة إلى مدى استخدامه من جانب القراء أنفسهم حيث كشفت الدراسات عن أن من ٥٠ـ٦٠٪ فقط من القراء هم الذين يستخدمون هذا الفهرس.

وفى سنة ١٩٣٠ بدأ تنقيح تقنين ١٩٠٨ إذ شكل اتحاد المكتبات الأمريكية لجنة لهذا الغرض ونشرت الطبعة المبدئية للتقنين المنقح سنة ١٩٤١ وقسمت إلى قسمين. الأول : يعالج أشكال المدخل والثانى يعالج بيانات الوصف، واستقبل التقنين بالعديد من الشكوى بسبب التفاصيل الكثيرة فى القسم الثانى وهو ما استدرك فى الطبعة الثانية. وقد فتق هذا الإجراء الأذهان إلى ضرورة إعادة تقييم الوضع فى الفهرسة الوصفية فقام هيرمان هنكل Herman Henkle بوضع تقريره فى سنة ١٩٤٦ عن الفهرسة الوصفية فى مكتبة الكونجرس، وصدرت القواعد الجديدة الخاصة بالوصف سنة ١٩٤٩ ، وأصبحت تستخدم مع القسم الأول من تقنين اتحاد المكتبات، أى قواعد المدخل والتى صدرت أيضاً فى نفس السنة.

وبعد سنوات قليلة من صدور «التقنين التوأم» قامت حركة نشطة تستهدف تبسيط مداخل المؤلفين والعناوين فى مرحلة ما أسميناها بمرحلة البعث والتجديد، وقاد هذه الحركة فى سنة ١٩٥٣ سيمور لوبتزكى Seymour Lubetzky وأدت إلى تشكيل عدد من اللجان لهذا الغرض. لقد طرحت القضية على النطاق الدولى وكان من نتيجة ذلك عقد مؤتمر باريس الدولى لمبادئ الفهرسة فى سنة ١٩٦١ وجاءت نتائج هذا المؤتمر مشجعة للغاية إذ ظهر الاتجاه نحو التوحيد الدولى فيما يتعلق بوظيفة وبناء الفهرس واختيار شكل وبناء المداخل[1].

(1) International Federation of Library Associations : International Conference on Cataloguing principles. Paris, 9th-18th october 1961. London, 1963.

فى هذا الإتجاه الدولى نحو توحيد قواعد الفهرسة بين أقطار العالم وبعد عشر سنوات قدمت الطبعة التجريبية من «التقنين الدولى للوصف الببليوجرافى» International Standand Bibliographic Description سنة ١٩٧١ وجربت فى العديد من الدول سنة ١٩٧٢ . وصدرت الطبعة الأساسية منه ١٩٧٤ .

ويتعلق هذا التقنين ببيانات الوصف فقط دون المداخل ودون المتابعات وقد اعتبر أساساً لقواعد الفهرسة الانجلو أمريكية التى أصدرت الفصل السادس الخاص ببيانات الوصف منفصلاً أولاً ثم أساساً لبيانات الوصف فى الطبعة الكاملة المنقحة التى صدرت سنة ١٩٨٢ .

لقد ولد فى هذا القرن أيضاً ما يعرف بالفهرسة المركزية حيث تتم الفهرسة فى مكان مركزى وتوزع البطاقات على المكتبات لتضعها فى أدراجها وقد بدأت مكتبة الكونجرس هذا العمل مع مطلع القرن على النحو الذى ألمحنا إليه. وتبعتها فى ذلك شركة ويلسون فى عام ١٩٣٨ . وكانت بطاقاتها المبسطة موجهة أساساً للمكتبات العامة والمدرسية. كما أدت نفس الفكرة إلى مركزية الفهرسة فى مكان واحد بالنسبة للتشكيلات والشبكات المكتبية المختلفة. وكانت ولاية جورجيا بمكتبتها المركزية هى أول ما بدأ هذا العمل سنة ١٩٤٤ .

كذلك أدت إلى نشوء «مراكز الفهرسة وإعداد الكتب» التى تتوفر على شراء الكتب وفهرستها وإعدادها (وضع جيب الكتاب، بطاقات الجيب، جزازة تاريخ الرد، وتكعيب الكتاب وما إلى ذلك). وهى مراكز تجارية غير مرتبطة بتشكيل أو شبكة مكتبية معينة.

لقد كان للفهرسة وتوزيع البطاقات متاعبها وأخطاؤها مما أدى إلى بزوغ فكرة الفهرسة فى المنبع Cataloguing - in - Source ومؤداها أن يفهرس الكتاب وتودع البطاقات فيه قبل بيعه أى فى دار النشر نفسها، ورغم أن الفكرة قديمة أثيرت فى القرن التاسع عشر إلا أنها لم تأخذ سبيلها إلى التنفيذ إلا بين يونيه ١٩٥٨ وفبراير

١٩٥٩ على يد مكتبة الكونجرس والتى بدأت بحوالى ١٥٧ ناشراً يقدمون بروفات كتبهم (١٢٠٣ كتاباً فى مرحلة البدء). ورغم أن الخطة قد وضعت جيداً ونفذت بدقة إلا أن التجربة لم تدم طويلاً لمتاعب حدثت لجميع الأطراف المشتركة فى التجربة، مكتبة الكونجرس، الناشرين، المكتبات المستفيدة من التجربة، ومثل هذه التجربة كانت تجرى فى عدد من البلدان الأخرى خلاف الولايات المتحدة الأمريكية. وحاولت مكتبة الكونجرس إيجاد بديل عرف ببرنامج «البطاقات مع الكتب» بدأ سنة ١٩٦١، وكان البرنامج يساعد الناشرين وباعة الكتب طبقاً لترتيبات معينة على تقديم البطاقات المفهرسة مع الكتب فى نفس الوقت بحيث أنه منذ سنة ١٩٦٧ قام ست وتسعون ناشراً وبائعاً بتوزيع حوالى ١٠ مليون بطاقة (٢مليون مجموعة).

لم تكن الفهرسة المركزية التى تقوم بها مكتبة الكونجرس مقتصرة على البطاقات المطبوعة فقط لأنه منذ ١٩٦٥ فكرت المكتبة فى إصدار بيانات الفهرسة مسجلة على أشرطة ممغنطة وصدرت الأشرطة الأولى من هذه التجربة "Machine Readable Cataloguing Data (MARC)" فى نوفمبر ١٩٦٦ ووزعت على ستين مكتبة مشتركة فى المشروع وكانت تضم حوالى ١٦٠٠٠ شريط لمطبوعات تلك السنة. ودرست النتائج والملاحظات بعناية شديدة وعدل المشروع فيما عرف بمارك الثانى MARC II.

لقد خبت فكرة الفهرسة فى المنبع وتوزيع البطاقات بسبب العديد من العيوب والأخطاء، ونشأت مع مطلع السبعينات من القرن فكرة «الفهرسة فى المطبوع أو الفهرسة أثناء النشر Cataloguing - in - Publication» لتدارك كل هذه الأخطاء، وقامت مكتبة الكونجرس مرة ثانية بتحقيق هذا المشروع الذى يقضى بأن يقدم الناشر بروفات كتابه إلى القسم المختص ليفهرس الكتاب وتطبع بيانات الفهرسة فى ظهر

صفحة العنوان ليقوم المفهرس بالاستعانة بها فى عملية الفهرسة فى مكتبته وماتزال التجربة سائدة إلى اليوم وخرجت من الولايات المتحدة إلى غيرها من الدول مثل بريطانيا والعراق والبرازيل...

لقد شهد هذا القرن أيضاً اتجاه الجهود نحو «الفهارس الموحدة» رغم أن الفكرة قديمة ألمحنا إليها من قبل فبدأت بفهارس موحدة محلية محدودة لتشكيل مكتبى أو مدينة واحدة وفهارس إقليمية وفهارس وطنية، إلى أن توجت هذه الفكرة بالفهرس الموحد العملاق وهو National Union Catalog والذى ترجع نواته إلى ١٩٠١ حيث أعدته مكتبة الكونجرس ليضم مقتنيات المكتبات الحكومية فى واشنطن وأهم المكتبات خارج المدينة. وفى سنة ١٩٢٦ أصبح حجم الفهرس ضخماً يضم ٢ مليون بطاقة. هذا ولقد تقدم جون روكفلر بمنحة لتوسيع نطاق الفهرسة ليضم أهم مقتنيات معظم المكتبات الأمريكية فيما عرف بمشروع (ب) وأطلق عليه الاسم الرسمى السابق سنة ١٩٤٨. وفى سنة ١٩٦٤ كان الفهرس يضم ١٥ مليون بطاقة لحوالى ٨ مليون كتاب وطبعة، واليوم صدر من هذا الفهرس ٦٠٩ مجلداً لما قبل ١٩٥٦ و ١٢٥ مجلداً بين ٥٦ـ٦٧ و ١٠٤ مجلداً بين ٦٨ـ٧٢ و١٦ و١٨ و١٧ و١٦ مجلداً لسنوات ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦ على التوالى. وهكذا.

لقد فتح هذا الفهرس الكتاب شهية كثير من المكتبات ليس فى أمريكا وحدها بل من جميع أنحاء العالم إلى الإتجاه مرة أخرى نحو الفهرس الكتاب وخاصة للاستخدام خارج المكتبة وللتبادل مع المكتبات الأخرى خارج الدولة. والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى وليس هناك ما يبرر هذا الحصر. ولقد ساعدت وسائل الطبع والتصوير الحديثة على هذا الاتجاه ودعمته منها التصوير بالأوفست أو الميكروفيلم وآخرها استخدام العقول الالكترونية.

إن النصف الثانى من القرن يشهد تنوعاً شديداً فى الفهارس وعمليات الفهرسة كما كان الحال فى النصف الأول والقرون السابقة عليه، وذلك طبقاً للمكتبة

واحتياجاتها وأساليبها السابقة وهيئة العاملين بها والميزانية المتاحة. ويؤكد التاريخ أن كثيراً من طرق الفهرسة المستخدمة الآن ليست جديدة تماماً على هذا القرن. وإن نظرة متأملة إلى ما يقال أنه جديد فى هذا القرن تكشف عن أن له جذوراً من الماضى، فإن ما يعرف الآن بكشاف الكلمات الدالة Kwic Index ليس سوى الفهرس الموضوعى القديم الذى شاع فى عدة قرون سابقة وطوره ادواردز وانتقده كتر بحرارة. والفهارس المبسطة أو قوائم الايجاد استخدمت منذ فترة طويلة ودافع عنها بول منذ أكثر من مائة سنة، وترتيب الكتب فى مخازن المكتبات طبقاً لرقم الورود شاعت طوال العصور القديمة والوسطى، واستخدام التصنيف الواسع أكثر من التصنيف الضيق مسألة هى الأخرى قديمة، رغم أنها تتخذ الآن دعاوى جديدة. كذلك فإن التصنيف بالحجم الذى يثار اليوم فى مكتبات التخزين معروف منذ مئات السنين وقد دافع عنه جزنر على نحو ما بسطناه على الصفحات السابقة.

ولعل التجديد الواضح فى الفهرسة والفهارس هو استخدام العقل الالكترونى فى هذا السبيل والذى فتح آفاقاً جديدة لم تكن موجودة من قبل. فالفهرس الالكترونى (دعنا نسميه هكذا) قد قدم بلا شك شكلاً جديداً من أشكال الفهارس (إلى جانب الفهرس الكتاب ـ الفهرس المحزوم ـ الفهرس البطاقى ـ الفهرس الميكروفيش) ويخدم فى كل أنواع الفهارس (المؤلف ـ العنوان ـ الموضوع ـ المصنف) يضاف إلى ذلك العديد من التسهيلات التى لم تكن موجودة من قبل كالسرعة فى تقديم المعلومات مكتوبة فى الحال وإرسال المعلومات الببليوجرافية المختلفة إلى مسافات بعيدة فى الحال لم يكن باستطاعة أى شكل من أشكال الفهارس السابقة أن يقوم بها، واستيعاب قدر هائل من المداخل والبيانات لايمكن السيطرة عليه بالأشكال التقليدية وكذلك المرونة وتعدد المآتى فى هذا الفهرس : والتحليل العميق للمعلومات. إن الفهرس الالكترونى يمزج مداخل الكتب ومقالات الدوريات والتقارير والمطبوعات الحكومية وغيرها من المواد المكتبية مما لا يقدر عليه أى شكل من أشكال الفهارس التقليدية. ونستطيع أن نؤكد أن هذا الفهرس هو فهرس

المستقبل بلاشك؛ على الأقل بالنسبة لمكتبات البحث والمكتبات الجامعية والمكتبات العامة الكبيرة بل إنه هو السبب فى تحول شكل المكتبة من الشكل التقليدى إلى ما يعرف اليوم بمركز المعلومات أو بنك المعلومات.

إن هذا الفهرس الالكترونى يتيح الفرصة لتقدم الفهرس الكتاب والفهرس البطاقى أيضاً إذ يمكنه تقديم هذين الشكلين من حصيلة ما خزن فيه.

ولقد دخل الفهرس الميكروفيشى هو الآخر كشكل خامس من أشكال الفهارس فى نفس الوقت مع الفهرس الالكترونى، ذلك أن الفهرس البطاقى أو المخزوم يحتاج إلى حيز كبير ولا يمكن إعداد أكثر من نسخة واحدة منه فاستغلت المكتبات فكرة المصغرات الفيلمية فحملت البيانات الببليوجرافية للأوعية على ميكروفيش تستطيع الواحدة منها أن تحمل بيانات عدة آلاف. ومن ثم فإن محتويات آلاف الأدراج يمكن أن يستوعبها درج واحد.

ومن المؤكد أن السنوات القادمة سوف تشهد المزيد من التطورات فى مجال الفهرسة والفهارس مستخدمة أحدث وسائل العصر التكنولوجية، وعلينا أن نرقب تلك التطورات ونهيئ أنفسنا لها.

إن قصة الفهرسة والفهارس العربية فى القرن العشرين هى قصة التقليد البطئ المتخلف غير المنظم وغير الواعى للفهارس الغربية، فقد ظل شكل الفهرس العربى حتى أوائل القرن العشرين هو الفهرس الكتاب وكان لقلة المكتبات الموجودة فى العالم العربى بعد مصادرتها وحملها الى استانبول أثر كبير فى تخلف الفهارس والفهرسة. إلا أنه مع مطلع القرن العشرين بدأ نوع من الوعى المكتبى فى العالم العربى وبدأ إنشاء المكتبات ببطء شديد وكانت دار الكتب المصرية رائدة فى هذا الشأن؛ فقد أصدرت فهارس مطبوعة بمقتنياتها، كان لها أثرها فى المكتبات العربية الأخرى سواء داخل مصر أو فى الدول العربية.

ولما كان أحدث شكل للفهارس التقليدية فى الدول الأجنبية هو الشكل البطاقى فإن المكتبات العربية فى تقليدها للمكتبات الأجنبية قد أدخلت هذا الشكل إلى جانب الفهارس المطبوعة، كما أدخلت مكتبة جامعة القاهرة شكلاً جديداً من الفهارس لم ينتشر فى العالم العربى وهو الفهرس المحزوم الذى مازال مستخدماً فيها حتى الآن إلى جانب الفهرس البطاقى.

ويرجع الدكتور محمد فتحى عبد الهادى استخدام هذا الشكل فى مكتبة الجامعة، إلى سنة ١٩٢٥ منذ نشأة الفهرس بها(١).

كذلك استخدم هذا الشكل من أشكال الفهارس فى مكتبة البلدية بمدينة المنصورة بمصر وربما جاء استخدام هذا الفهرس تقليداً لمكتبة الفاتيكان فى إيطاليا.

ونستطيع أن نؤكد مطمئنين أن الأشكال الثلاثة التقليدية فى الفهارس تتعايش الآن فى المكتبات العربية، وهناك مكتبات عربية عديدة فى دول عربية استخدمت الفهرس الالكترونى الذى مايزال فى طور التجريب فى دول الغرب.

ولقد استمر إعداد الفهارس فى المكتبة العربية يعتمد على الاجتهادات المحلية ليس فى داخل البلد الواحد أو المدينة الواحدة بل أيضاً فى كل مكتبة على حدة.

ولم يبدأ الإتجاه نحو التقنين والتوحيد إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين حين أنشئ قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة عام ١٩٥١ وعمل به أساتذة متخرجون فى الجامعات الأجنبية وبدأ فى تخريج أول دفعة سنة ١٩٥٤. كما كان لاصدار دوريات متخصصة فى علوم المكتبات وتأسيس جمعيات مهنية فى تلك الفترة، أثرها الواضح فى هذا الاتجاه.

وقد رأينا أن المكتبات الأجنبية قد توافر لها العديد من قواعد الفهرسة الوصفية منذ القرن التاسع عشر إلا أن المكتبة العربية لم تحظ بأية قواعد خاصة بها إلا منذ ستينات هذا القرن.

---

(١) محمد فتحى عبد الهادى : الفهارس والببليوجرافيات بمكتبات الجامعات الثلاث بالقاهرة. (رسالة الماجستير) ص ١١٤.

وترجع أول محاولة لوضع قواعد فهرسة إلى سنة ١٩٣٨ التى وضعتها دار الكتب القومية فى مصر، وقد تأثرت فيها تأثراً واضحاً بالقواعد الأنجلو أمريكية الصادرة سنة ١٩٠٨ فقد أوردت كثيراً من الأمثلة الموجودة فيها ونصوصاً مترجمة لبعض قواعدها.

ولعل أول محاولة أكاديمية جادة فى مجال الفهرسة هى تلك التى قام بها الأستاذ محمد المهدى حنفى فى رسالته للماچستير عن : اختيار مداخل الكتب فى الفهرسة الوصفية سنة ١٩٦١. ولكنها كما نرى اقتصرت على قواعد المدخل فقط.

وقد قام الأستاذ حبيب سلامة بترجمة مختصرة لقواعد اتحاد المكتبات الأمريكية التى أشرنا إليها من قبل ونشرها فى مجلته عالم المكتبات سنة ١٩٥٨، ١٩٥٩ فى أعداد متفرقة.

كذلك قام الدكتور محمود الشنيطى والأستاذ محمد المهدى حنفى بإصدار أول تقنين مكتمل عن الفهرسة باللغة العربية بعنوان «قواعد الفهرسة الوصفية للمكتبات العربية» وطبعت منه عدة طبعات صدرت أولاها التجريبية سنة ١٩٦٢ ثم صدرت بعد ذلك فى سنوات ١٩٦٤، ١٩٦٩، ١٩٧٣ عن دار المعرفة بالقاهرة.

وهناك القواعد التى توفر عليها الأستاذ محمود الدباغ فى بغداد سنة ١٩٦٨، والترجمة التى قام بها الأستاذ محمود أتيم للقواعد الأنجلو أمريكية.

وفى سنة ١٩٧٠ أصدر الدكتور محمد أمين البنهاوى وشعبان خليفة كتابهما عن نماذج بطاقات الفهارس العربية.

كما توفر الدكتور محمد فتحى عبد الهادى على نشر كثير من قواعد المدخل وبيانات الوصف والكثير من الارشادات المتعلقة بالفهرسة والفهارس فى كتاب «المدخل إلى علم الفهرسة» الذى نشرته جمعية المكتبات المدرسية سنة ١٩٧٤.

وقام الدكتور سعد محمد الهجرسى بترجمة للتقنين الدولى للوصف الببليوجرافى مع التعريبات والتأصيلات والارشادات والذى نشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٧٥ وصدرت الطبعة الثانية منه سنة ١٩٧٦ .

وكل هذه المحاولات تشير إلى التأثر المباشر بقواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية ومحاولة تطويعها لأغراض فهرسة الكتاب العربى بعضها حالفه التوفيق وكثير منها جانبه الصواب. كما ترجمت تلك القواعد كاملة سنة ١٩٨٣ عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وكان لغياب خطة تصنيف عربية وقائمة رؤوس موضوعات عربية أثره المباشر فى إختفاء الفهرس المصنف العربى واختفاء الفهرس الموضوعى العربى فى مكتباتنا العربية إذ أن فهرس المؤلف وفهرس العنوان هما النوعان الغالبان على الفهارس فى المكتبة العربية ومن النادر أن نجد فهارس موضوعية أو مصنفة.

ولعله بعد نشر الدكتور محمود الشنيطى والدكتور أحمد كابش لترجمتهما المعدلة لتصنيف ديوى العشرى، فى طبعته التجريبية والطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ والفيكونت فيليب دى طرازى فى تعديله المعروف بإرشاد الأعارب إلى تنسيق الكتب فى المكاتب، والترجمات الكثيرة التى الكثيرة التى صدرت بعدهما أن تأخذ المكتبة العربية فى إعداد فهارس نوعية مصنفة.

كذلك فإنه بعد نشر أول قائمة رؤوس موضوعات عربية متكاملة توفر عليها الأستاذ ابراهيم الخازندار سنة ١٩٧٨ ، وقائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى التى توفر عليها صاحبا هذه الموسوعة سنة ١٩٨٥ وطبعتها الثانية ١٩٩٣ نأمل أن يجد المفهرسون أمامهم أدوات يعتمدون عليها فى إعداد فهارس موضوعية.

ونورد فيما يلى ثبتاً بأهم تقانين الفهرسة استقى من مقال هانسون وديلى فى دائرة معارف المكتبات والمعلومات سابق الذكر، وأضيف إليه.

أهم تقانين الفهرسة عبر ثلاثة قرون مرتبة زمنياً

1791 Instruction pour procéder a la conferction du catalogue de chacune des bibliotheques sur lesquelles les Directoires ont dû ou doivent incessaminent apposer les scelles Imprimerie nationale, Paris, 1791.

1841 The British Museum code of ninety-one rules, adopted by the Trustees in 1839.

1852 C. C. Jewett, Smithsonian report on the consruction of catalogues of libraries... and their publication by means of separate, stereotyped titles, with rules and examples.

1876 C. A. Cutter, Rules for a printed dictionary catalog. (Revised in 1889, 1891, and 1904).

1878 Cambridge University. Rules to be observed in forming the alphabetical catalogue of printed books. (Originally contained 49 Rules but enlarged to 64 in 1925).

1878 L'Instruction generale relative au service des bibliotheques universitaires.

1883 American Library Association. Condensed rules for an author and title-catalog.

1883 Oxford, Bodleian Library, Compendious cataloging rules for the author catalog.

1883 Library association, Cataloguing rules.

1884 F. B. Perkins, San Francisco cataloguing for public libraries.

1886 American Library Association, Condensed rules for a card catalog.

1886 K. Dziatzko, Instruction fur die Ordnung der Titel im alphabetischen Zettelkatalog der Konigl, und Universitatsbibliothek zu Breslau.

1889 L. Delisle, Instructions elementaires et techniques pour la mise et le maintien en order des livers d'une bibliotheque.

1889 M. Dewey, Library school card catalog rules; with 52 facsimiles of sample cards for author and classed catalogs.

1890 L. Delisle, Instructions elementaires et techniques pour la mise et le maintien en ordre des livres d'une bibliotheque, Lille, 1890.

1890 K. Linderfelt, Eclectic card catalog rules; author and title entries based on Dziatzko's "Instruction" compared with the rules of the British Museum, Cutter, Dewey, Perkins and other authorities, Boston, 1890.

1899 Prussia, Instruktionen fur die alphabetischen Kataloge der preussichen Bibliotheken vom 1899. Zweite ausgabe, 1908.

1902 Spain. Junta facultativa de archivos, bibliotecasy museos, Madrid.

1905 United States, Library of Congress, Catalog division. Supplementary rules on cataloguing. (First published as a monograph but continued on cards).

1908 American and British Library Associations, Cataloguing rules; author and title entries.

1909 Instruktionen fur die alphabetischen Kataloge der preuszischen Bibliotheken vom 10. mai 1889. 2. ausg. in der fassung vom 10. August 1908. Berlin.

1912 Association des Bibliothecaires Francais. Régles et usages observés dans les principales bibliotheques de Paris....

1912 French Library Association. Régels et usages obsrvés dans les principales bibliotheques de Paris pour la rédaction et le calssement des catalogues d'auteurs et d'anonymes, 1912.

1913 Association des Bibliothecaires francais,... Régles et usages observés dans les principlaes bibliotheques de Paris pour la rédaction et le classement des catalogues d'auteurs et d'anonymes (1912)..., Paris.

1916 Sweden, Kungliga biblioteket, Katalogregler for Kungl, biblioteket samt anvisningar for anordnande av bokband, Av riksbibliotharien faststallda den 30 juni 1916. Stockholm.

1917 Denmark, Bogsamlingskomite, Katalogisering; raad og regler til brug ved ordningen of bogsamilinger, udgivt af Statens bogsamlings-komite, Compenhagen, 1917.

1921 Norway, Norsk bibliotekforening Forslag til katalogiseringsregler utarb. av Norsk bibliotekforenings katalogkomite, Christiania, 1921.

1921 Vereinigung schweizerischer bibliothekare, Entwurfzu einer Katalogisierungsinstruktion fur den schweizerischen Gesamtkatalog, Zurich, 1921.

1922 Italy, Commissione incaricata di porgrorre un nuovo codice di regole (etc.) Regole per la compilazi one del catalogo alfabetico, Rome, 1922.

1922 Bayerische staabsbibliothek, Katalogisierungsordnung, 2, ausg., Munich, 1922.

1922 Bodleian Library,.... Rules for the cataloguing of printed books published before 1920..., Oxford, 1922.

1923 Bodleian Library, Rules for the author-catalogue of books published in or after 1920. Oxford, 1923.

1923 France, Bibliotheque nationale, Usages suivis dans la rédaction du Catalogue general des livres imprimés de la Bibliotheque nationale, recueillis et coordonnes par E. G. Ledos, Paris, 1923.

1925 Norway, Norsk bibliotekforening, Katalogiseringsregler for norske biblioteker utarb, av Norsk bibliotekforenings katalogkomite, Oslo, 1925.

1929 Association des Bibliothecaires Francais, Regles generales.

1931 The Vatican code, Norme per il cataloge degli stampati.

1936 Rules for compiling the catalogues of printed books, maps and music in the British Museum, Revised edition.

1941 A. L. A. Catalog rules: author and title entries, prepared by the Catalog Code Revision Committee of the American Library Association, with the collaboration of a Committe of the (British) Library Association.

1949 A. L. A. Cataloging rules for author and title, 2nd ed., ALA, Chicago, 1949.

1949 U. S. Library of Congress. Rules for descriptive cataloguing in the Library of Congress, Government Printing Office, Washington, D. C., 1949.

1961 Germany (Federal Republic), Budestag, Bundestag, Bibliothek, Instrucktionen fur die Kataloge der Bibliothek des deutschen Bundestages, 1961.

1961 U. S. S. R., Glavone upravlenie kul'turno-prosvetitel' nykh uchrezhdenii, Edinye pravila opisaniia proizedenii pechati dlia bibliotechnykh katalogoy. Chast' 1 Vypusk 2, Organizatsiia alfavitnogo ka-

talogov knig 2-e izdanie, ispravlennoe i dopolnennoe. (Standard rules for the description of printed works for library catalogs. Pt. 1, Section 2; Arrangement of the alphabetical catalog of books. 2nd ed., rev. enl), Biblioteka im. Lenina, Moscow, 1961.

1964 Spain, Direccion General de Archivosy Bibliotecas, Instrucciones para la redaccion del catalogo alfabético de autores y obras anonimas en las bibliotecas publicas del estado, dirgidas por el Cuerpo Facultativo de Archiveros, Bibliotecarios y Arqueo logos, 3ed. reformata, Dir. Gen. de Archivos y Bibliotecas, Madrid, 1964.

1965 Verein Deutscher Bibliothekar, Kommission fur alphabetische katalogisierung, Regeln fur die alphabetische katalogisierung. Teilentwurf. Kolstermann, Frankfurt, 1965. (A partial compilation of a new Germam code with Part I pertaining to corporate authorship and Part II covering alphabetical arrangement. This work clearly indicates the Paris principles.).

1965 Japanese Library Association, Nippon Cataloguing Rules, 1965. (This extensive code was clearly influenced by the Paris principles.).

1965 Zentralinstitut fur Bibliothekswesen. Titelaufnahme fur die Kataloge der allegemeinbildenden Bibliotheken, 2nd rev. ed., Bibliographisches Institut, Leipzig, 1965. (The Paris princples have strongly influenced this code although corporate bodies are not recognized as main entries).

1967 Anglo-American cataloging rules, prepared by the American Library Association. The Library Association and the Canadian Library Association, ALA, Chicago, 1967.

1974 International Federation of Library Association and Institutions ISBD (M): International Standard Bibliographic Description for Monographic Publications. - London: IFLA International Office for UBC, 1974.

1978 Anglo-American Cataloging Rules. 2nd ed., Chicago American Library Association, 1978.

١٩٧٣ محمود الشنيطى ومحمد المهدى : قواعد الفهرسة الوصفية. ط٢ . القاهرة دار المعرفة، ١٩٧٣ . ٧٩ص.

١٩٧٤ محمد فتحى عبد الهادى : المدخل إلى علم الفهرسة. القاهرة، جمعية المكتبات المدرسية، ١٩٧٤ . ٢٤٤ص

١٩٧٦ سعد محمد الهجرسى : التقنينات العصرية للوصف الببلوجرافى؛ تعريبات وتأصيلات وإرشادات. ط٢. القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٦ . ٣مج.

١٩٧٩ شعبان عبد العزيز خليفة ومحمد عوض العايدى : الفهرسة الوصفية للمكتبات؛ الكتب والمخطوطات. الرياض، دار المريخ، ١٩٧٩ . ٣٨٤ص.

١٩٨١ شعبان عبد العزيز خليفة ومحمد عوض العايدى : الفهرسة الوصفية للمكتبات، المواد السمعية البصرية والمصغرات الفيلمية. جدة، مكتبة العلم، ١٩٨١ . ٣٠٤ص.

١٩٨٣ قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية. ترجمة محمود أحمد أتيم مراجعة محمود الأخرس. الطبعة الأولى. عمان : جمعية المكتبات الأردنية/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٣ .

١٩٨٩ شعبان عبد العزيز خليفة ومحمد عوض العايدى : موسوعة الفهرسة الوصفية للمكتبات ومراكز المعلومات. الرياض، دار المريخ، ١٩٩٢ ٢ مج.